



جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم
قطاع الكتب

أسامة بن زيد

أصغر قائد في الإسلام

للفيف الثاني الإعدادي

تأليف

عبد المنعم قنديل

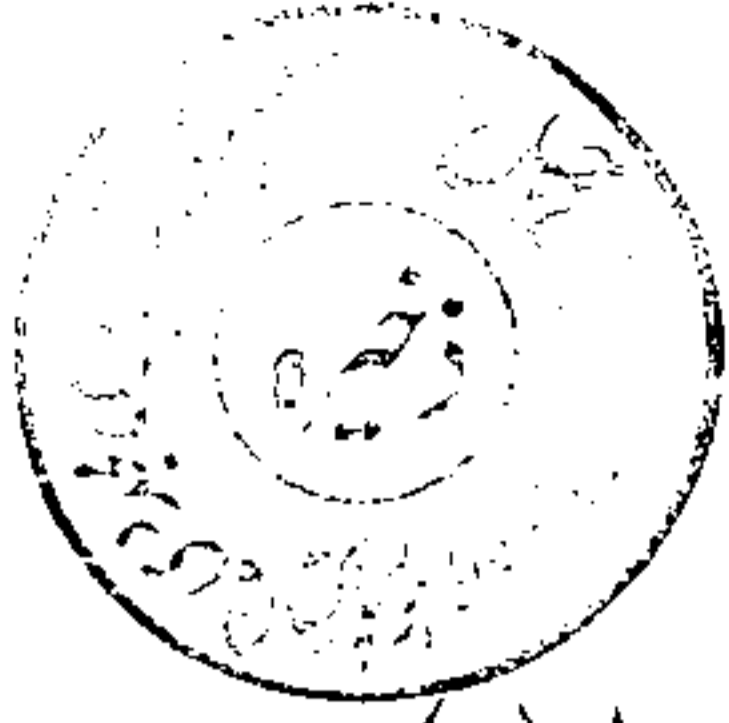
على الجمبلاطي

3922/1

ذخیرہ صاحبزادہ میاں گھمیل احمد شہر قپوری، نقشبندی مجددی

جو 2001ء میں میاں صاحب نے

پنجاب یونیورسٹی لائبریری کو عطا فرمایا



جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم
قطاع الكتب

أستاذ مكرم بن زكريا

أستاذ مكرم بن زكريا

للصف الثاني الإعدادي

بقلم

عبد المنعم قنديل

على الجبلاطي

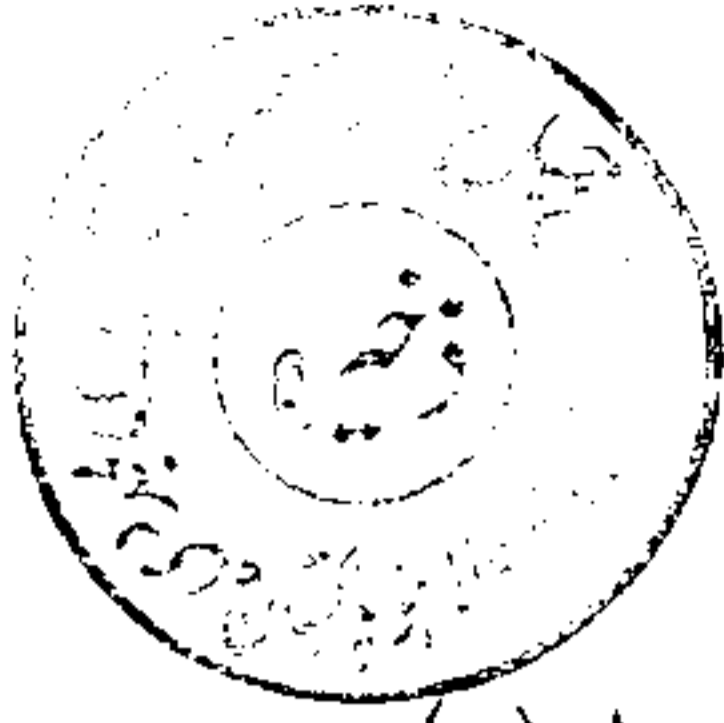


طبعة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ / ٩٨ م

ذخیرہ صاحبزادہ میاں محمد شمس الدین نقشبندی مجدی

جو 2001ء میں میاں صاحب نے

پنجاب یونیورسٹی لائبریری کو عطا فرمایا



جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم
قطاع الكتب

أسئلة مكررة في الحساب

للسف الثاني الإعدادي

بقلم

عبد المنعم قنديل

على الجمبلاطي



طبعة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩/٩٨ م

B7181

بسم الله الرحمن الرحيم

مراجعة
أحمد حسن حمزة
مستشار التربية الدينية

أعد هذه الطبعة
يوسف حسن صالح
خبير التربية الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إلى أبنائنا وبناتنا طلبة وطالبات الصف الثاني الإعدادي

نقدم قصة البطل المسلم «أسامة بن زيد» تمثيا مع سياسة الوزارة في تجديد وتطوير المناهج لتتلاءم مع ميولكم وتتناسب مع متطلبات العصر الحديث الذي يشهد تطورا في شتى مجالات الحياة. ونتمنى أن تجدوا في هذه القصة «السيرة العظيمة»

لأبطال المسلمين التي تفخرون بها وتعززون بانتمائكم إليهم، وتجدون فيها القدوة الصالحة. التي يجب أن تقتدوا بها وتعلموا منها حتى تجددوا مسيرة هؤلاء العظماء وتعيدوا لأمتكم أمجادها ومفاخرها وتبنوا لأنفسكم طريق العزة والنجاح.

ولعل أهم درس يجب أن تتعلمه أيها الطالب من قصة أسامة هو أن النجاح في الحياة وتحقيق الأمنى طريقه الكفاح والنضال والحب والتفانى فى أداء الواجب؛

لأن الله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا.

والله ولي التوفيق



في مكة المكرمة « قبل الهجرة »

تقديم

اشترت السيدة خديجة بنت خويلد ، زيد بن حارثة ، من سوق عكاظ بمكة المكرمة ، ثم أهدته إلى زوجها ، محمد ﷺ ، وقد أعتق النبي مولاه زيدا ، ثم خرج إلى حجر إسماعيل ، وأعلن أنه قد تبناه .

وأراد النبي أن يرفع مكانة زيد ، فزوجه من (زينب بنت جحش وأم أيمن) ، وقد أنجب زيد من الثانية ولداً أسماه (أسامة) ، وكان ﷺ ، يتردد على بيت زيد ، ويُقبَلُ الصغيرَ وَيُهْدِيهِ ، فكان لحيه وعطفه انطباعات في نفس أسامة منذ صغره .

في سوق عكاظ

كان يوماً رقيقَ النَّسيم من شهر ذى القعدة ، وسوقُ عكاظَ بالقرب من مكة قائمٌ في مواعده السنوي ، يباشرُ فيه التجارُ بيعَ سلعهم التي جلبوها من البلدان المجاورة للجزيرة العربية ، كما يباشرُ فيه الشعراءُ والخطباءُ إلقاءَ ما جادتُ به قرائحهم^(١) من شعرٍ ونثرٍ على عشاقِ الأدب ، ومُحبيِّ البيانِ الرفيع . .

(١) قرائحهم : جمع قريحة وهي الذهن وجودة الطبع .

وفي السوق مكانٌ مُخصَّصٌ لبيع الرقيق^(١)، إذ كان اقتناء الرقيق عادةً مألوفةً عند أثرياء العرب وغير العرب في ذلك الحين ..

❖ زيد بن حارثة في بيت محمد بن عبد الله ❖

وكانت خديجة بنت خويلد - وهي سيدة على جانب عظيم من الثراء^(٢)، شأنُ أشرف قبيلتها بنى أسد - قد عهدت إلى ابن أخيها حكيم ابن حزام أن يشتري لها غلاماً يقوم على خدمتها، فقد أخذ حكيم يتجول في السوق حتى عثر على غلام توسم فيه الطيبة وحسن الخلق، فأخذ يساوم على ثمنه حتى بلغ أربعمائة درهم .. وعندها قبل البائع، فعاد حكيم بالغلام إلى بيت عمته خديجة ..

كان غلاماً يافعاً^(٣)، ذا أنف أفطس، ولونه أسمر شديد السمرة، واسمه زيد بن حارثة، وهو الذي أنجب فيما بعد أسامة بطل هذه القصة .

شكرت خديجة لابن أخيها حسن اختياره، وقررت أن تُقدم الغلام هديةً لزوجها محمد بن عبد الله، وكان ذلك قبل بعثه ببضع سنّوات ..

ولكن من هو زيد بن حارثة، ولماذا عرض للبيع في سوق عكاظ ..

إن القدر هو الذي كتب له هذه البداية، حتى يكون له فيما بعد أعظم شأنٍ وأجله في تاريخ الإسلام ..

إنه ليس من أسرة تباع أبناءها في سوق الرقيق .. وإنما هو من قوم يؤثرون الحرية على ما عداها من زخرف الدنيا، ومتاع الحياة ..

أما سبب عرضه للبيع فإنه أخذ أسيراً في أثناء وجوده في بيت أخواله بحى بني معن، إذ كانت أمه سعدى بنت ثعلبة في زيارة لأهلها .. وقد

(٢) الثراء : الغنى .

(١) الرقيق : العبيد .

(٣) يافعاً : قريباً من سن الشباب والبلوغ .

أغارَتْ على الحى عصابةً من بنى القَيْنِ ، وأسَرَتْ الغلامَ معَ من أسَرَتْ
من غلمانٍ ، ثم عَرَضَتْهم جميعاً للبيعِ بسوقِ عُكَاظٍ . . .

ولما نُمِيَ إلى حارثةَ أن ابنه وَقَعَ أسيراً في يدِ عِصَابَةٍ من بنى القَيْنِ ،
حَزَنَ أَبْلَغَ الحُزْنِ ، وتَأَلَّمَ أَشَدَّ الأَلَمِ .
لم يكنْ حارثةُ - وهو يُواصلُ اللَّيْلَ بالنهارِ بُكاءً على ابنه وفلذةِ كبده ،
يَعْلَمُ أن زَيْدًا يَنْعَمُ بِأَهْنَأِ عَيْشٍ في بيتِ خديجةَ بنتِ خويلدٍ ، ومحمدِ بنِ
عبدِ الله .

لقد استطاب العيشَ معهما ، حتى إنَّهُ لم يُفَكِّرْ في العودَةِ إلى أهله ، إذ
أنَّهُما عَوَّضاهُ بالحبِّ والرَّعايَةِ وحُسْنِ المعاملَةِ عن حنانِ الأبوينِ ،
وأُنسِ الأهلِ ، ومرحِ الأصدقاءِ .

كان زَيْدٌ كلما خلا إلى نفسه يطرحُ عليها هذا السؤالَ : أيُّ طرازِ عظيمٍ
من الرِّجالِ محمدُ بنِ عبدِ الله . . . إنه لم يرَ في حياته رجلاً في مثلِ رَقَّةِ
شمائله^(١) . وكرمِ خُلُقِهِ ، وعِفَّةِ ضميرِهِ . إنه يَخْتَلِفُ عن النَّاسِ جميعاً
فكراً وسلوكاً :

فهو عَفُّ اللسانِ إذا تَحَدَّثَ .

وفى إذا عَاهَدَ أو وَعَدَ .

عادلٌ يعطى كلَّ ذى حقٍّ حَقَّهُ .

نقى السريرة لا يُكِنُّ حَقْدًا أو ضغينةً^(٢) .

أمينٌ تتنزّه أَقوالُهُ وأفعالُهُ عن الشُّبهاتِ .

جَمُّ التواضعِ . . كاملُ الرُّجولَةِ .

مَنْ رآه هَابَهُ ، وَمَنْ خَالَطَهُ أَحَبَّهُ .

جَوادٌ لا يردُّ السائلَ ، بل يُعِينُ على نوائبِ الدهرِ .

(٢) ضغينة : كره . والجمع ضغائن .

(١) رقة شمائله : الصفات الحسنة .

❖ الاختيار الموفق ❖

صفات وشمائلُ بَهَرَتْ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَجَعَلَتْهُ يُوَثِّرُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ
حَتَّى عَلَى أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ ..

امْتَحَنَ زَيْدٌ ذَاتَ يَوْمٍ فِي حَبِّهِ لِمُحَمَّدٍ ، فَكَانَ جَوَابُهُ قَاطِعًا عَلَى أَنْ مُحَمَّدًا
أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَبِيهِ وَمَنْ عَشِيرَتِهِ الْأَقْرَبِينَ ..

فَقَدَّ التَّقَى فِي أَحَدِ مَوَاسِمِ الْحَجِّ بِنْفَرٍ مِنْ جَبْرِ وَالِدِهِ ، وَسَرَّعَانَ مَا
عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ ، وَلَمَّا أَخْبَرُوهُ بِأَنَّ وَالِدَهُ يَقِيمُ فِي حُزْنٍ عَمِيقٍ عَلَى فَقْدِهِ ، قَالَ
لَهُمْ أَنْشُدُوهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ مِنْهَا :

أَحْنُ إِلَى قَوْمِي وَإِنْ كُنْتُ نَائِيًا (١) فَإِنِّي قَعِيدُ الْبَيْتِ عِنْدَ الْمَشَاعِرِ
إِنَّهُ يَطْمَئِنُّ وَالِدُهُ عَلَى أَنَّهُ يَعِيشُ فِي أَسْرَةٍ كَرِيمَةٍ ، وَيَدْعُوهُ إِلَى التَّخْلِى
عَنْ حُزْنِهِ وَأَسَاءِهِ .

تَلَقَّى حَارِثَةُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ بِسُرُورٍ بَالِغٍ .. وَمَعَ أَنَّهَا تَحْمَلُ كُلَّ مَا يَدْعُو إِلَى
الطَّمَأْنِينَةِ ، فَقَدْ رَكِبَ هُوَ وَأَخُوهُ كَعَبٌ رَاحِلَتِيهِمَا ، وَانْطَلَقَا عَلَى الْفُورِ إِلَى
مَكَّةَ .. وَعِنْدَمَا دَخَلَاهَا سَأَلَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَقِيلَ لَهُمَا إِنَّهُ
بِالْمَسْجِدِ ..

فَوَجِيَءَ مُحَمَّدٌ - وَهُوَ جَالِسٌ يَتَعَبَّدُ - بِرَجُلَيْنِ يَقِفَانِ أَمَامَهُ وَيَقُولَانِ لَهُ :
يَا ابْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ... يَا ابْنَ هَاشِمٍ .. يَا ابْنَ سَيِّدِ قَوْمِهِ ... أَنْتُمْ أَهْلُ
حَرَمِ اللَّهِ وَجَيْرَانِهِ ... تَفُكُّونَ الْعَانِي (٢) وَتَطْعَمُونَ الْأَسِيرَ ... جِئْنَاكَ فِي
ابْنِنَا عِنْدَكَ . فَاْمُنُّنْ عَلَيْنَا ، وَأَحْسِنْ إِلَيْنَا فِي فِدَائِهِ ...
التفت إليهما مُحَمَّدٌ وَقَالَ لَهُمَا :

- مَنْ هُوَ ؟

(١) نائياً : بعيداً .

(٢) العانى : كل ما يعانى من الرق والأسر .

قَالَ الرَّجُلَانِ :

- زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ .. نَرِيدُ افْتِدَاءَهُ .

قَالَ مُحَمَّدٌ :

ادعوه فخيروه ، فإن اختاركم فهو لكم ، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي
أختارُ على من اختارني أحداً .

قال الرجلان : زدتنا على النصف وأحسنت .

وعلى الفور أمر محمد بمن يُنادي زيدَ بن حارثة .. ولما مثلَ بين يديه سأله :
- أتعرف هؤلاء يا زيدُ ؟

زيد : نعم .. هذا أبي ، وهذا عمي .

محمد : فأنا من علمت ورأيت صحبتي لك . فاخترني أو اخترهما .

زيد : ما أنا بالذي أختارُ عليك أحداً . أنت مني بمكان الأب والعم .

الرجلان : ويحك^(١) يا زيدُ .. أتختارُ العبوديةَ على الحريةِ وعلى أبيك
وعمك ، وعلى أهل بيتك ؟

زيد : نعم .. قد رأيتُ من هذا الرجلِ شيئاً ما أنا بالذي أختارُ
عليه أحداً أبداً .

محمد بن عبد الله يتبنى زيداً

ما كاد زيدُ ينطق العبارةَ الأخيرةَ حتى فاضتُ عينا محمد بالدُموع ، وخرجَ
بزيدٍ إلى الحجر^(٢) ، وقال : يا من حضرَ اشهدوا أنَّ زيداً ابني يرثني وأرثه .
عند ذلك تهلل^(٣) وجهُ حارثة ، واطمأنَّ إلى أنَّ ابنه يعيشُ في ظلِّ
ظليل من الحبِّ والرعايةِ والعطفِ ، فودعَ محمداً ، وقفلَ هو وأخوه كعبُ
راجعينِ إلى حيثهما .

(١) ويحك : رحمة بك .

(٢) الحجر : حجر إسماعيل بجوار الكعبة .

(٣) تهلل : ظهرت عليه أمارات الفرح .

أَمَّا زَيْدٌ فَقَدْ سَمَتْ (١) مَكَانَتَهُ بَعْدَ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ ؛ وَأَصْبَحَ مَعْرُوفًا بَيْنَ النَّاسِ بِأَنَّهُ زَيْدُ ابْنِ مُحَمَّدٍ . . . وَلَمْ يَبْطُلْ هَذَا اللَّقَبُ إِلَّا عِنْدَمَا نَزَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بَعْدَ بَعَثِ مُحَمَّدٍ يَقُولُ :

﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (٢)

❖ إسلام زيد بن حارثة ❖

أَخْلَصَ زَيْدٌ لِمُحَمَّدٍ وَزَوْجَتِهِ خَدِيجَةَ ، وَأَوْلَاهُمَا قَلْبَهُ وَوَجْدَانَهُ وَمَشَاعِرَهُ ، وَكَانَ الزَّوْجَانِ يَرِيَانِ فِيهِ أَصْدَقَ أَخٍ ، وَأَوْفَى صَدِيقٍ ، وَأَقْرَبَ إِنْسَانٍ إِلَى قَلْبَيْهِمَا الصَّافِيَيْنِ .

وَذَاتَ يَوْمٍ دَخَلَ زَيْدُ الْبَيْتِ وَقَتَ الظَّهِيرَةِ فَأَلْفَى مُحَمَّدًا وَخَدِيجَةَ يَرْكَعَانِ وَيَسْجُدَانِ وَيَتْلَوَانِ كَلِمَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، كُلُّهَا ابْتِهَالَاتٌ لِخَالِقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ .

وَقَفَ زَيْدٌ مَشْدُوهَاً بَضْعَ لِحْظَاتٍ ، وَلَمَّا انْتَهَيَا مِنْ صَلَاتِهِمَا ، سَأَلَهُمَا عَمَّنْ يَعْبُدَانِ - فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : إِنَّهُمَا يُصَلِّيَانِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَقَرَأَ بَضْعَ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، اعْتَنَقَ زَيْدٌ عَلَى أَثَرِهَا الْإِسْلَامَ . يَقُولُ الرَّوَاةُ : إِنَّهُ رَابِعُ مَنْ دَخَلَ الْإِسْلَامَ حَيْثُ دَخَلَ قَبْلَهُ خَدِيجَةُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . وَبَعْضُ الرُّوَايَاتِ تَقُولُ : إِنَّهُ ثَانِي مَنْ دَخَلَ الْإِسْلَامَ .

صَحِبَ زَيْدٌ الدَّعْوَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ ، وَهِيَ شِعَاعٌ صَغِيرٌ فِي بَيْتِ مُحَمَّدٍ ، وَأَمِنَ بِالذِّينِ الْجَدِيدِ إِيْمَانًا لَا يَتَزَعَزَعُ ، وَلَا تَشُوْبُهُ شَائِبَةٌ ، وَأَصْبَحَ يُغَادِي النَّبِيَّ وَيُرَاوِحُهُ (٣) وَيَتَلَقَّى عَلَيْهِ الْمُبَادِي السَّامِيَّةَ الَّتِي يَهْبِطُ بِهَا الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِهِ ، فَيَزِدَادُ عَقْلَهُ إِشْرَاقًا ، وَنَفْسَهُ صَفَاءً ، وَنَزْعَاتَهُ سَمَوًا وَاسْتِعْلَاءً .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٥ .

(١) سمت : ارتفعت .

(٣) يغادي النبي ويراوحه : يصحبه ويلزمه صباحًا ومساءً .

❖ زواج زيد بأم أيمن ❖

ولشدة حب النبي لزيد زوجه حاضنته أم أيمن ، وكان هذا الزواج خيراً على الزوجين ، بل على الأمة الإسلامية كلها .
كان النبي يقول عن أم أيمن - واسمها الحقيقي بركة : إنها أمي بعد أمي ، لأنها أشرفت على رعايته وهو في السادسة من عمره بعد أن ماتت أمه أمنة بنت وهب ، وظلت ترعاه حتى اشتدَّ عوده . وأصبح رجلاً ذا شأن في القبائل كلها ، بل في العالم بأسره .
رأى النبي في هذه الزيجة أن يجمع بين اثنين من أحب الناس إلى قلبه ، وأن يكون التكافؤ أساسها .

❖ مولد أسامة ❖

تمَّ زواج زيد بأم أيمن بعد بعث النبي ببضع سنوات . وكانت الثمرة الأولى لهذا الزواج بعد عام واحد طفلاً يحمل ملامح أبيه من حيث البشرة السمراء والأنف الأفطس ، واتفق الزوجان على تسميته أسامة . وأبلغ النبي بهذا المولود ففرح به ، ودعا الله أن يُبارك فيه ، حتى يكون مجاهداً في سبيل الحق .

كان النبي يتردد على بيت زيد ويقبل الطفل الصغير ، ويهدده ، ويضعه على فخذه ، ويضع الحسن أو الحسين على الفخذ الأخرى ، وهكذا كانت قبلات النبي وحنائه وعطفه هي الانطباعات الأولى في نفس أسامة ، وهي العبير الشفاف الذي تنسّمته روحه الغضة وهو مازال طفلاً يحبُّ .

الناقشة

س ١ : ماذا تعرف عن (سوق عكاظ) ؟

س ٢ : ما الذى طلبته السيدة خديجة من (حكيم بن حزام) ؟

س ٣ : أحن إلى قومي وإن كنت نائياً فإني قعيد البيت عند المشاعر

(أ) من قائل البيت ؟ وما المناسبة ؟

(ب) لخص قصة زيد فى سطور .

س ٤ : ما الموقف الذى جعل (رسول الله) يتبنى زيداً ؟

س ٥ : ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة ، وعلامة (x) أمام

الخطأ :

- أسلم زيد بن حارثة ، لأنه كان عبداً لرسول الله ﷺ .

- جاء حكيم بن حزام يناشد النبى فى زيد .

- اشترى محمد بن عبد الله زيداً من السيدة خديجة .

- أسر بنو القين زيداً مع من أسر من بنى معن وبيع فى عكاظ .

س ٦ : علل لما يأتى :

(أ) زواج زيد من أم أيمن .

(ب) تردد النبى ﷺ على بيت زيد .



الْفَضْلُ الْبَائِلِيُّ

في المدينة المنورة «بعد الهجرة» تطلع أسامة للجهاد

تقديم

نشأ أسامة نشأة دينية ، فحفظ أجزاءً من القرآن الكريم ، وأدرك ما يحض على توحيد الله وعبادته ، وعلمه أبواه شئون الدين الحنيف ، فكر الصبي في الجهاد في (بدر) ، ثم لبس سلاح الحرب في (أحد) ، ولكن المسلمين ردوه من الطريق لصغر سنه .

ويقرب الصبي من سن الشباب ، ويلهب والده عواطفه بقصص البطولة الإسلامية الرائعة ، ويتأثر الفتى بما يسمع .

وفي سرية (مؤتة) ، يخرج (زيد) قائداً للجيش ، ولكنه يستشهد فينعي النبي لأصحابه شهداء مؤتة ، ويتمنى أسامة أن تتاح له الفرصة ليثار للشهداء .

نشأة أسامة الدينية

وعى الطفل في السن الباكرة آيات من القرآن الكريم تحض على توحيد الله وتمجيده . وتدعو إلى عبادته وحده . كما أنه رأى أبويه يصليان لله في الغداة والعشي فكان للبيئة الدينية التي أحاطت بأسامة أثرها في نشأته .

حوار وتطلع

وذات ليلة ، وكان أسامة قد قارب العاشرة من عمره ، سمع حواراً بين أبويه عن موقف المشركين من النبي وأصحابه ، وعرف من حديثهما أن

حوالى تسعمائة رجل من المشركين يتزعمهم أبو جهل قد تجمّعوا عند بئر بدر، وهى بئر تقع بالقرب من المدينة، وأن النبى سئل عن هذا الحشد الكبير بحوالى ثلثمائة من أصحابه .

تاقت نفس أسامة إلى الخروج مع أبويه، والاشتراك فى الحرب ضد المشركين . . ولكنّ الأبوين بنبراتٍ كلها عطفٌ وحنانٌ يردانه رداً رقيقاً، ويقولان له :

إنك مازلت صغيراً، وطريق الجهاد طويل، وسوف تجاهد ما وسعك الجهاد .
إلا أنّ كلام الأبوين لم يلق استجابةً عند الصبى إذ يصرّ على الاشتراك فى الحرب . وحاول الأبوان إقناعه حتى تغلبا عليه، ثم أخذاهما (١) للخروج فى أوّل غزوةٍ من غزوات الرسول .

زيد وزوجه فى غزوة بدر

كان لكلٍ منهما دورٌ مُحدّدٌ فى المعركة . . زيدٌ من أمهر الرماة، وسوف يُسدّد سهامه إلى صدور المشركين . أمّا أم أيمن فستحمل قريبتها وتسقى المُجاهدين . . . كما أنها ستقوم بتضميد جراح المصابين .

انطلق الأبوان إلى ساحة المعركة، وبقي أسامة بالمدينة ينتظر فى شوق أنباء القتال حتى جاء من يرف النبأ إلى المدينة بأن الله قد تجلّى على الفئة القليلة من المسلمين، فجعلها توقع بالمشركين هزيمة ساحقة، تذهب بهيبة قريش، ومالها من عزة وكبرياء . .

ولما عاد الأبوان مساءً هذا النصر المبين، تلقاهما أسامة بإشراقه تملأ وجهه الغضب الصغير، وجلس إليهما يستمع إلى ما دار فى المعركة، وكيف تجرّعت قريش مرارة الهزيمة على أيدي المسلمين . .

(١) أهبتهما : استعدادهما .

❖ الأعداء يزحفون على المدينة ❖

إلا أن قريشاً لم يهدأ لها بالٌ بعد هذه الهزيمة . فأخذت تُعدُّ العُدَّةَ لقتال المسلمين . وما هو إلا عامٌ واحدٌ حتَّى حشدت آلاف الرجال من مختلف القبائل ، وزحفت على المدينة الآمنة

❖ النبي يدبر للقاء العدو في أحد ❖

سَمِعَ النبيُّ بما دبَّرته قريشٌ ، وما حشدته من الرجال فتشاور مع أصحابه عما ينبغي أن يتخذَ لمجابهة هذا الموقف . . وهنا برزت آراء شتى : البعض يقترح الاحتماء بالمدينة والقضاء على من يحاول دخولها من المشركين ، والبعض يرى ضرورة الخروج لملاقاة المشركين مهما تكن التضحية ، وتغلب الرأي الأخير ، وأعلن النبي أنه سيحارب المشركين خارج المدينة .

❖ تصميم على الجهاد ❖

عندما علم أسامة أن النبي قرَّر الخروج لمُحاربة المشركين ، صمَّم على الاشتراك في هذه المعركة ، وحاول أبواه أن يقنعا بالعدول عن رأيه ، ولكنهما لم يُفلحا في هذه المرة . إذ كانت الحماسة في نفس الصبي قد بلغت مداها ، وإزاء تصميمه على الاشتراك في الحرب ، أعطياه سيفاً ودرعاً ، وتركاه ينطلق إلى ميدان القتال .

كان يومئذ في الحادية عشرة من عمره ، وكان أمراً يدعو إلى الدهشة أن رأى المسلمون وهم في طريقهم إلى جبل أحد ، صبياً يتقلد درعه ، ويحمل سيفه ، ويسير في صفوف المجاهدين .

تساءلوا من يكون هذا الصبي ، ومن الذي كلفه بالخروج إلى الجهاد؟ ، ولم تَمْضِ لحظات حتى عرفوا أن اسمه أسامة بن زيد ، وأنه تطوع من تلقاء نفسه للاشتراك في الحرب . كما عرفوا أن أبويه حاولا ثنيه عن عزمه ، دون أن يلقيا منه أى استجابة لرغبتيهما .

أشفق المسلمون على الصبي ، وإن قدروا فيه الشجاعة والعزم والتصميم ، وانفرد به عددٌ منهم يحاولون إقناعه ، ويعدونه بالخروج في المعارك القادمة ، فلم يسع الصبي إلا أن يذعن لرأيهم ، وعاد حزيناً إلى المدينة ، وكله لهفة واشتياق إلى أن يأتي اليوم الذي يخرج فيه للجهاد في سبيل الله

❖ زيد يحرز انتصارات في ست سرايا ❖

ثم تمضى الأيام ، ويقترب أسامة من مرحلة الشباب ، المرحلة التي لا يمكن لأحد فيها أن يعترض على خروجه إلى الجهاد . . كان خلال هذه الفترة يلذ له أن يستمع من أبيه زيد بن حارثة إلى أنباء المعارك التي خاضها ضد أعداء الله . فقد خرج زيد بن حارثة في ست سرايا كان أميراً على كل منها ، وأحرز في السرايا الست انتصارات باهرة ، شهدت له بالفروسية والبطولة والإقدام . كما أنه شهد غزوات : بدر وأحد والخندق والحديبية وخيبر . .

أدرك زيد أن أسامة ابنه يطرب لقصص الفروسية ، ومواقف البطولة ، ومشاهد التضحية . . . فكان يحكى له بطريقة جذابة كيف يُقاتل المسلمون أعداء الله ، وكيف ينتصرون عليهم ، وكيف يجدون المشقة سائغةً عذبةً مادامت في سبيل الله . .

وكان أسامة يطرب أشدَّ الطرب^(١)، إذ يسمع من أبيه كيف يدفعُ حبُّ الله ورسوله المؤمنين أن يقتحموا المخاطر، ويخوضوا المنايا، ويجابها الشدائد. ويلاقوا الأهوال. كان يستمع بقلبه ووجدانه ومشاعره إلى ما يحكيه أبوه.. ثم يلتفت إليه ويقول:

متى يُسمح لي بالخروج للجهاد؟

وهنا يطرب الوالد الحنون، ويُقبلُ ابنه ويقول له:

سوف يأتي اليوم الذي تُجاهد فيه يا بني، وتحظى بهذا الشرف العظيم.

❖ الوداع الأخير ❖

لم يتعوذ زيد بن حارثة أن يودع زوجته أم أيمن وابنه أسامة والدموع تملأ عينيه إلا في هذه الليلة.. ولم يتعوذ كذلك أن يرى أم أيمن تُودعه وعيناها دامعتان إلا في هذه الليلة..

إنها شهدتُ يخرجُ قبل ذلك في غزوات كثيرة.. ولكنها لم تشعرُ بمثل هذا الشعور.. إن نداءً خفياً في نفسها يؤكدُ لها أنه الوداع الأخير.. ومما زادها اقتناعاً بذلك أن زوجها سهر حتى الصباح يُحدثها عن الاستشهاد والجنة وثواب الصبر عند تلقى الأنباء الفاجعة..

❖ سرية مؤتة ❖

كان النبيُّ قد قرَّر أن يُرسل جيشاً إلى حدود الشام لمحاربة الروم، وأعلن أن أمراء هذا الجيش ثلاثة هم: زيد بن حارثة، فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة.

❖ (١) الطرب: الفرح.

تحرك الجيش بقواده الثلاثة في جمادى الأولى من العام الثامن للهجرة . . . وظلّ يقطع الفيافي والقفار حتى وصل إلى حدود الشام، وعسكر بجوار بلدة تُسمى مؤتة، سُميت هذه الغزوة باسمها . . .

إلا أن هذا الجيش فوجئ - وهو لا يجاوز بضعة آلاف - أن جيش الروم يزيد على مائتي ألف مقاتل . . .

الموقف إذن بالغ الصعوبة بالنسبة للمسلمين . كيف يُحاربون وهم بضعة آلاف، جيشاً قوامه مائتا ألف مقاتل . . . لقد فرض عليهم القتال . . . إنهم حاربوا في بدرٍ وهم ثلثُ عددِ عدوِّهم . ومع ذلك أحرزوا نصراً مبيناً .

❖ بسالة واستشهاد ❖

الموقف على شدته لا يحتملُ منهم أي تردد أو تفكير . لا بدَّ من خوض المعركة . . . إنهم باعوا أنفسهم لله، وجاءوا يطلبون الشهادة . وتقدم زيد بن حارثة ومعه راية النبي، وتقدم وراءه المسلمون، ودار قتالٌ عنيفٌ لم تشهد مثله أرضُ البلقاء . ولكن زيدا لم يلبث أن شاط في رماح القوم، أي مُزق جسده تمزيقاً . . . وهنا تلقى الراية جعفر بن أبي طالب، واقتحم صفوف الروم، ولكن جنود الروم ما لبثوا أن حاصروه من كلِّ جانب، وأصيبت يمينه بضربة سيفٍ بترتها على الفور . . . فلم يهتم بيده المبتورة قدر اهتمامه براية النبي، إذ خشى أن تسقط على الأرض، فحملها بشماله، وهنا عاجله جنود الروم بضربة بترت شماله، فأبى أن تسقط الراية وذراعاه مبتورتان . وكانت آخر محاولة له أن ضمَّها إلى صدره بعضديه . . . وأصبح في موقف لا يستطيع معه المقاومة، مما جعل استشهادَه أمراً محتوماً . وقبل أن تسقط الراية كان عبد الله بن رواحة قد رفعها بيمينه . ومضى يُقاتل ويقاتل وسط صفوف الروم حتى حطى بالشهادة مثل زميليه . . .

❖ خالد ينجذ جيش مؤتة ❖

بعد أن استشهد القواد الثلاثة ، وأصبح موقف المسلمين بالغ الخطورة ، تدخل خالد بن الوليد ، وكان قد خرج متطوعاً مع الجيش ، وأخذ يقاتل حتى تكسرت تسعة أسياف في يده ، ثم استطاع بخبرته العسكرية أن يسحب الجيش بانتظام ، ويعود به إلى المدينة ..

❖ النبي ينعي لأصحابه شهداء مؤتة ❖

ولكن قبل أن يصل الجيش أو تصل أنباء المعركة إلى المدينة ، كان النبي ﷺ قد نعى شهداء مؤتة إلى أصحابه . إذ كان جالساً بينهم عندما أخذته إغفاءة لبرهة قصيرة انتبه بعدها وقال لهم :
«أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً .. ثم أخذها جعفر بن أبي طالب فقاتل بها حتى قتل شهيداً .. ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً .. لقد رفَعُوا جميعاً إلى الجنة» .

❖ الثار لشهداء مؤتة ❖

تلقي أسامة نبأ استشهاد أبيه بقلب حزين وعينين باكيتين .. ولكن خفف عنه الأسى ما لمح على وجه النبي من آثار الحزن على شهداء مؤتة .. وتمنى في قرارة نفسه أن تتاح له الفرصة لمحاربة الروم ، حتى يثار لشهداء مؤتة جميعاً .

وإذا كانت النتيجة التي أسفرت عنها غزوة مؤتة قد تركت جرحاً عميقاً في نفوس أهل المدينة ، فقد كان أثرها أعمق في نفس النبي . ولذا قرَّر ﷺ أن يخرج بنفسه على رأس جيش لمحاربة الروم . حتى يقضي على هيبة الروم ، تماماً ، ويؤمن حدود الدولة الإسلامية من ناحية الشام .

الناقشة

س ١ : علل لما يأتي :

- (أ) زيد يحمل النبل والسهام إلى بدر .
- (ب) أم أيمن تحمل الضمادات والقربة .

س ٢ : ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة ، وعلامة (x) أمام الخطأ فيما يأتي :

- (أ) انتصر المسلمون في بدر لكثرة عددهم وعتادهم .
- (ب) أصرت قريش على الثأر بعد هزيمتها في بدر .
- (ج) كان عدد المسلمين في بدر ثلث عدد المشركين .

س ٣ : عرف المسلمون الأوائل أحدث طرق التربية للأطفال والشباب .
دلل على صدق هذه العبارة بما عرفته من تربية أسامة .

س ٤ : ما الدروس المستفادة من غزوة أحد ؟

س ٥ : متى كانت سرية مؤتة ؟ ومن قاد جيش المسلمين فيها ؟ ولماذا
عدد النبي ﷺ القيادة فيها ؟

س ٦ : ضع علامة (✓) أمام كل إجابة صحيحة :

- خالد بن الوليد (أ) عينه النبي قائداً في مؤتة .
- (ب) دفعته ظروف الحرب إلى القيادة .
- (ج) كان سبب النصر في مؤتة .
- (د) كان السبب في الحفاظ على الجيش في مؤتة .

س ٧ : اكتب مذكرة تاريخية مختصرة ، عن تطلع أسامة للجهاد منذ صغره .

س ٨ : تحدث عن نشأة أسامة التي أثرت في مستقبله .



الفصل الثالث

فتح مكة أسامة يوم الفتح

موقف النبي من نقض صلح الحديبية

وَتَمَضَى الْأَيَّامُ ، وَيَأْتِي الْعَامُ الثَّامِنُ لِلْهِجْرَةِ ، وَيَشْتَدُّ بِأَسْرُ الْإِسْلَامِ ، وَيُصْبِحُ قُوَّةً لَهَا خَطَرُهَا فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَمَا جَاوَرَهَا مِنْ بُلْدَانٍ .
وَبَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ يَلْقَنُهُمْ^(١) تَعَالِيمَ السَّمَاءِ ، وَمِبَادِيِ الْإِسْلَامِ ، إِذَا بِرَجُلٍ قَادِمٍ مِنْ مَكَّةَ اسْمُهُ عَمْرُو بْنُ سَالِمِ الْخَزَاعِيِّ يَفْتَحِمُ^(٢) عَلَيْهِ مَجْلِسَهُ ، وَقَلْبُهُ يُنْتَفِضُ مِنَ الرَّعْبِ وَالْفَزَعِ . . . وَلَمَّا سَأَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَمَّا أَصَابَهُ ، حَكَى لَهُ مَأْسَاءَ عَنِيْفَةً أَصَابَتْ قَبِيلَةَ خَزَاعَةَ .
كَانَتْ هَذِهِ الْقَبِيلَةُ ، وَهِيَ مِنْ حُلَفَاءِ النَّبِيِّ ، تَعِيشُ بِجَوَارِ مَكَّةَ أَمْنَةً مُطْمَئِنَّةً ، إِذْ أَغَارَتْ عَلَيْهَا قَبِيلَةُ بَنِي بَكْرٍ بِإِعْزَازٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، لِأَنَّهَا حَلِيفَتَانِ . وَأَوْسَعَتْ قَبِيلَةُ خَزَاعَةَ قَتْلًا وَتَعْذِيْبًا رَغِمَ أَنَّهَا احْتَمَّتْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ^(٣) . . .

جَرِيْمَةٌ بَشْعَةٌ^(٤) اسْتَنْكَرَهَا النَّبِيُّ ﷺ ، وَوَجَدَ فِيهَا نَقْضًا صَرِيحًا لِمُعَاهَدَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ الَّتِي وَقَعَهَا مِنْ قَبْلِ مَعَ قُرَيْشٍ . فَفَرَّرَ نَصْرَةَ خَزَاعَةَ وَفَاءً بِعَهْدِهِ

(٢) يفتحم : يدخل عليه عنوة .

(٤) بشعة : كريهة .

(١) يلقي عليهم تعاليم الإسلام .

(٣) البيت العتيق : المسجد الحرام والكعبة .

معها ودعا المسلمين إلى التأهب للحرب بدون أن يعلن عن الجهة التي سيتوجهون إليها حتى لا يصل الخبر إلى قريش فتستعد للقاء المسلمين .

❖ الاستعداد لفتح مكة ❖

كان من الطبيعي أن يتخذ النبي ﷺ قراراً حاسماً^(١) في هذا الموقف .. لقد نقضت قريش معاهدة الحديبية وأصبحت الحرب لا مفرّ منها ..

ولما وصل المسلمون إلى منطقة (مر الظهران) طلب الرسول ﷺ من المسلمين أن يشعلوا نيرانا كثيرة وأعلن النبي ﷺ أنه قرر فتح مكة ، ودعا المسلمين إلى التأهب للزحف عليها ..

وما هي إلا ساعات قلائل حتى كان كل مسلم قد أعدّ عدته^(٢) . وجّهز متاعه ، واستعدّ للخروج مع النبي ﷺ إلى فتح أكبر مدينة في الجزيرة العربية .

❖ في الطريق إلى مكة ❖

بلغ عدد المسلمين الذين استعدّوا للزحف الكبير عشرة آلاف مقاتل ، تحركوا في الساعة التي حدّدها النبي ﷺ ، متّجهين صوب^(٣) مكة ، للقضاء على الوثنيّة فيها ، وجعلها العاصمة الدينية للدولة الإسلامية .

مشهد رائع هزّ مناكب الصحراء عجباً وخيلاً .. النبي ﷺ على بغلته البيضاء يرى بقلبه الكبير أطراف الدولة الإسلامية وقد امتدّت حتى شملت مملكتي الفرس والروم ، وما بعد الفرس والروم .. والمسلمون من خلفه تصهّل خيولهم صهيلاً تنبعث منه فرحة النصر . وكأنّما عقد الإيمان على جبين^(٤) كل مسلم هالة^(٥) من العزّة تضيء له الطريق ..

❖ (١) حاسم : قاطع من غير تردد . (٢) عدته : سلاحه . (٣) صوب مكة : مستهدفين مكة .

❖ (٤) جبين : مقدمة الرأس . (٥) هالة : دائرة من الضوء .

وَحَانَتْ مِنْ أَبِي بَكْرٍ التَّفَاتَةَ نَحْوَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَوَجَدَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ يَرْكَبُ خَلْفَهُ . . عَلَى الْبَغْلَةِ الْبَيْضَاءِ .

يَالَهُ مِنْ مَوْقِفٍ تَمَثَّلَ فِيهِ عَظَمَةُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ يُسَوِّي بَيْنَ الْقَائِدِ الْأَعْلَى وَبَيْنَ شَابٍّ لَيْسَ مِنْ ذَوِي الْحَسَبِ وَالنَّسَبِ .

وَتَطَّلَعَ أُسَامَةُ - وَهُوَ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ - فَرَأَى الْعَيُونَ تَرْمُقُهُ (١) بِتَقْدِيرٍ وَإِعْجَابٍ . . إِنَّهُ لَشَرَفٌ كَبِيرٌ لَهُ أَنْ يَسِيرَ بِجَوَارِ النَّبِيِّ فَكَيْفَ يَكُونُ شَأْنُهُ وَقَدْ أَصْبَحَ شَرِيكًا لَهُ فِي دَابَّتِهِ . .

اسْتَمَرَ الْمُؤَكَّبُ الْعَظِيمُ فِي مَسِيرَتِهِ بَضْعَةَ أَيَّامٍ . . يَشُقُّ تَسْبِيحُهُ عَنَانَ السَّمَاءِ ، وَتُرْفَرُ عَلَيْهِ أَجْنَحَةُ الْمَلَائِكَةِ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَكَةَ لَمْ يَجِدْ فِيهَا مَنْ يُقَاتِلُ أَوْ يُقَاوِمُ . . اللَّهُمَّ إِلَّا أَفْرَادًا قَلَائِلَ حَاولُوا أَنْ يَعْتَرِضُوا طَرِيقَ كَتِيبَةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، فَرَدَّهُمْ خَالِدٌ عَلَى أَعْقَابِهِمْ خَاسِرِينَ . .

ثُمَّ يَبْلُغُ الْمَشْهَدُ الْعَظِيمُ ذُرْوَتَهُ بِالنَّسْبَةِ لِأُسَامَةَ . . إِذْ يَدْخُلُ النَّبِيُّ ﷺ الْكَعْبَةَ لِيُصَلِّيَ فِيهَا رَكَعَتَيْنِ ، وَلَمْ يَدْخُلْ مَعَهُ إِلَّا أُسَامَةُ وَبِلَالٌ . . وَشَهِدَتْ الْكَعْبَةُ النَّبِيَّ الَّذِي بَشَّرَتْ بِهِ الْكُتُبُ الْمُقَدَّسَةُ يَدْخُلُهَا مُنْتَصِرًا فِي أَعْظَمِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ التَّارِيخِ .

منزلة أسامة من نفس النبي

لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَسُوقَ الْوَقَائِعَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى مَنْزِلَةِ أُسَامَةَ مِنْ نَفْسِ النَّبِيِّ ﷺ ، لِأَعْيَانِ الْعَدُوِّ وَالْحَصْرِ . وَلِذَلِكَ سَنَكْتَفِي بِإِيرَادِ مَا فِيهِ دَلَالَةٌ خَاصَّةٌ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَحْتَلُّ جَانِبًا كَبِيرًا مِنْ قَلْبِهِ الْعَظِيمِ . .

رَوَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَعْضَ الْوَقَائِعِ الَّتِي حَدَّثَتْ لِأُسَامَةَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَالَّتِي تَدُلُّ عَلَى مَبْلَغِ حُبِّهِ لَهُ وَإِعْزَازِهِ إِيَّاهُ .

(١) ترمقه : تنظر إليه وترقبه .

قالت : إن قريشاً أهمهم^(١) شأن المرأة المخزومية التي سرقت ، وتملكهم الرعب والخجل من أن تقطع يدها ، تنفيذاً لتعاليم الإسلام . وتشاوروا فيما بينهم : من يجسر على مفاتحة النبي ﷺ ، لعله يعفو ويصفح . وأخيراً استقر رأيهم على أن يعهدوا إلى أسامة بن زيد أن يتشفع لهذه المرأة عند النبي ﷺ لثقتهم أن النبي لا يرُد طلباً لأسامة .

انطلق نفرٌ منهم إلى أسامة وطلبوا إليه أن يذهب إلى النبي ﷺ ، ويناشده عدم تنفيذ العقوبة في المرأة المخزومية ، لأنها من قريش من جهة ، وتمت إلى النبي بصلة المصاهرة من جهة أخرى . .

ضعف أسامة أمام إلهام قريش ، وسرعان ما ذهب إلى النبي ﷺ ، وطلب إليه أن يصفح عن المرأة السارقة ، وألاً يُنفذ فيها حد الله .

ثم انتظر رد النبي ﷺ ، متصوراً أنه سيلبى رغبته .

ولكنه فوجيء بالنبي ﷺ يحمر وجهه من الغضب ويوجه إليه اللوم^(٢) ويقول له : أتشفع في حد من حدود الله ! .

حد السرقة علاج للمجتمع

ولم يكتف النبي ﷺ بهذا . وإنما أراد أن يعلم الناس لماذا فرض الله عقوبة السرقة ، ولماذا لا يتهاون هو في تنفيذها . . فقام وخطب الناس فقال :

« إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . »

(١) أهمهم : أحزنهم .

(٢) اللوم : يكلمه في شدة وقسوة ويعذله على فعله .

حب الله تعالى فوق كل حب

هنا تتجلى أروع آية من آيات العدالة عند الرسول ﷺ . . إن حبه لأسامة لا يحتاج إلى شاهد أو دليل ، ولكن هذا الحب لا يطفى على حبه لكلمة الله وحكمته في قطع يد السارق حتى ولو كانت يد امرأة من أشرف قريش ، وتمت إلى النبي ﷺ بصلة المصاهرة .

وهنا يتجلى لأسامة أن حكم الله أوثق صلة بقلب النبي ﷺ من حبه إياه . . وأنه لا ينبغي أن يشفع بعد اليوم في حد من حدود الله ، لأن النبي ﷺ يضع تعاليم السماء فوق كل اعتبار .

المنافسة

س ١ : ضع علامة (✓) أمام الإجابة الصحيحة فيما يأتي :

(أ) كان صلح الحديبية سنة (٥٦ - ٥٨ - ٥٩ هـ) .

(ب) الذي أبلغ النبي بموقف قريش (رجل من خزاعة - رجل من بكر - رجل من الأنصار) .

(ج) عدد الجيش الزاحف على مكة

(خمسة آلاف - عشرة آلاف - اثنا عشر ألفا)

س ٢ : لماذا اتخذ النبي ﷺ قراره بفتح مكة ؟

س ٣ : ما مظهر نقض قريش لصلح الحديبية ؟

س ٤ : صف مشهد الجيش وهو يتجه إلى مكة .

س ٥ : ما إحساس أبي بكر حينما رأى أسامة خلف النبي على بغلته البيضاء ؟

س ٦ : اذكر حادثتين تدلان على حب النبي ﷺ لأسامة .

س ٧ : في قصة المرأة المخزومية دروس ومواقف . وضح اثنين منها .

س ٨ : «حد السرقة علاج اجتماعي»

دلل على صدق هذه العبارة .

الفصل الرابع

﴿ ثم أنزل الله سكينته على رسوله ﴾

﴿ وعلى المؤمنين ﴾

أسامة في موقعة حنين

تقديم

وقفت فئة مؤمنة يوم حنين ، تدافع عن النبي ﷺ في ثبات وصبر وجلد يظللهم الإيمان بالله ، وتلفت النبي ﷺ حوله فوجد أحد عشر مؤمناً ، أنزل الله عليهم السكينة يدافعون عنه وقد امتحن الله قلوبهم للإيمان .

كان أسامة مع من ثبت من المؤمنين ، وهذا الثبات ، هو الذي رشح الفتى للقيادة ، وقد أضمرها النبي ﷺ في نفسه .
إن قيادة أسامة ، امتحان للصحابة ، والنبي ﷺ يثق بأصحابه .

﴿ هوازن تفكر في الاستيلاء على مكة ﴾

بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ . كَانَتْ قَبِيلَةُ هَوَازِنَ - وَهِيَ تَسْكُنُ بِأَحَدِ الْجِبَالِ الْوَاقِعَةِ فِي شَرْقِ مَكَّةَ - قَدْ عَزَّ عَلَيْهَا أَنْ تُصْبِحَ مَكَّةَ ، وَهِيَ أَكْبَرُ مَدِينَةٍ فِي شِبْهِ الْجَزِيرَةِ ، عَاصِمَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ ، يُمَارِسُونَ فِيهَا

شعائرهم الدينية ويُجهزون فيها جيوشهم للغزو والفتح - ويدعمون^(١) فيها سلطانهم ومجدهم المادى والروحى ، وحز في نفس هذه القبيلة أن تتجرد من كل ما كانت تتمتع به من جاه ونفوذ . . . وأن تصبح بدون مهابة أو سؤدد^(٢) وهى التى عاشت مرهوبة الجانب ، رفيعة الشأن .

أجرى رئيسها مالك بن عوف النضرى محادثات مع قبائل ثقيف ونصر وجشم انتهت بعقد تحالف لشن حرب ضد المسلمين ، وخرجت القبائل الأربعة إلى وادى حنين تحمل كل ما تملك من ذهب وفضة ، وتسوق أمامها كل ما تملك من إبل وغنم وما عز ، وتصحب نساءها فى هذه الرحلة الخطرة ، حتى يكون فى وجودهن خلف المقاتلين دافع إلى خوض المعركة فى حماسة ، حفاظاً على العرض ، وإظهاراً للشجاعة ، وانتزاعاً للإعجاب . . .

ظنت هوازن والقبائل المتحالفة معها أنها بهذا الحشد الكبير من الرجال والنساء والمتاع ستقضى على المسلمين ، وتسترد ما كان لها من مهابة فى أعين القبائل ، وتبسط سلطانها على مكة ، وتصبح صاحبة الكلمة النافذة فى هذه المدينة العريقة^(٣) .

علم النبى بما دبّرتة هوازن ، وما أزمعت القيام به ، فلم ينتظر لحظة واحدة ، وإنما بعث من ينادى بالجهاد ، وسرعان ما تجمع المسلمون الذين فتح بهم مكة ، وعدتهم عشرة آلاف فارس ، وانضم إليهم ألفان من الذين دخلوا الإسلام حديثاً بعد هذا الفتح المبين .

(١) يدعمون : يقوون حكمهم .

(٢) سؤود : مجد وشرف .

(٣) العريقة : الأصلحة .

النبي يخرج إلى هوازن ومن حالفها

تَحَرَّكَ الْجَيْشُ مِنْ مَكَّةَ يَتَقَدَّمُهُ النَّبِيُّ ، وَيَرْفَرُ عَلَيْهِ نُورُ اللَّهِ ، وَنَظَرَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى عَدَدِهِمْ وَعَتَادِهِمْ^(١) فَأَخَذَهُمُ الزَّهْوُ ، وَتَمَلَّكَهُمُ الْفَخَارُ . . . إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْكَثْرَةِ فِي الرَّجَالِ ، وَالْوَفْرَةِ فِي السَّلَاحِ ، وَمَعَ هَذَا أَحْرَزُوا النَّصْرَ فِي كُلِّ مَوْقِعَةٍ وَدَحَرُوا عَدُوَّهُمْ فِي كُلِّ مَعْمَعَةٍ ، وَأَرْهَبُوا بِشَجَاعَتِهِمْ وَبَسَّالَتِهِمْ أَعْدَاءَ اللَّهِ وَأَعْدَاءَ نَبِيِّهِ . . .

وَذَهَبَ الزَّهْوُ بِهَذَا الْجَيْشِ الْكَثِيفِ إِلَى حَدِّ أَنْ قَالُوا : لَنْ نُغْلِبَ الْيَوْمَ عَنْ قَلَّةٍ . . . وَهُنَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ دَرَسٍ إِلَهِيٍّ يُعِيدُ إِلَى نُفُوسِهِمُ الْإِيمَانَ بِأَنَّ النَّصْرَ الَّذِي أَحْرَزُوهُ فِي كُلِّ الْمَعَارِكِ إِنَّمَا كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ مَقْيَاسُ النَّصْرِ فِي الْمَعَارِكِ بِكَثْرَةِ الرَّجَالِ وَوَفْرَةِ السَّلَاحِ ، لَهَزَمُوا يَوْمَ بَدْرٍ . فَقَدْ كَانَ الْمَشْرُكُونَ ثَلَاثَةَ أَمْثَالِ الْمُسْلِمِينَ ، وَمَعَ هَذَا بَاءَ الْمَشْرُكُونَ بِهَزِيمَةٍ سَاحِقَةٍ . . . وَمَا يُقَالُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ يُقَالُ فِي كُلِّ الْمَعَارِكِ الَّتِي خَاضَهَا النَّبِيُّ وَأَتْبَاعُهُ . . . فَلَمْ يَكُونُوا فِي أَيِّ مَعْرَكَةٍ أَكْثَرَ عَدَدًا ، وَأَقْوَى عَتَادًا ، وَإِنَّمَا كَانُوا مُسَلَّحِينَ بِالْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ ، وَمُدْرِكِينَ تَمَامًا أَنَّ اللَّهَ يَدْحَرُ عَدُوَّهُمْ ، وَأَنْ يَدَّهُ تَبْطِشُ بِهَوْلَاءِ الْأَعْدَاءِ ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾^(٢) . . .

إِذَنْ لَا بُدَّ مِنْ دَرَسٍ إِلَهِيٍّ يَرُدُّ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ السَّمَاوِيَّةَ إِلَى نُفُوسِ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَمَثَّلَ الدَّرْسُ فِي اخْتِبَاءِ الْقَبَائِلِ الْمَعَادِيَةِ لِلرَّسُولِ ﷺ وَرَاءَ مَضَائِقِ وَادِي حُنَيْنٍ وَشَعَابِهِ ، وَعِنْدَمَا بَلَغَ الْمُسْلِمُونَ الْوَادِي أَنْهَلَتْ عَلَيْهِمُ النَّبَالُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَفُوجئُوا بِأَشْبَاحِ الْمَنِيَّةِ تَرْحَفُ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ ، فَلَمْ يَمْلِكُوا إِلَّا أَنْ يَتَّقَهُ قَرُّوا إِلَى الْوَرَاءِ ، دُونَ أَنْ يَحْدُثَ أَيُّ اشْتِبَاكِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعَدُوِّ . . .

(٢) سورة الأنفال (الآية ١٧)

(١) عتادهم : السلاح والدواب وأدوات الحرب

ثبات وعزم

ماذا فعل النبي ﷺ حين تفهقر^(١) المسلمون على أثر هذه المفاجأة؟ لم تتحرك قدماه خطوة واحدة نحو الورا، وإنما وقف ثابتاً يملأ الإيمان قلبه وعقله ومشاعره، وراح ينادى بصوت هزت أصدائه جوانب الوادي :

إلى أين أيها الناس .. هلموا إلي .. أنا رسول الله .. أنا محمد بن عبد الله .. أنا النبي لا كذب .. أنا ابن عبد المطلب .

وتلفت النبي ﷺ حوله فرأى أحد عشر مؤمناً قرروا ألا يتخلوا عنه في هذا الموقف العصيب، حتى ولو مزقتهم السيوف من بين هؤلاء المؤمنين : أبو بكر وعمر والعباس عم النبي وعلى بن أبي طالب وأسامة بن زيد .

إن الله قد امتحن هؤلاء المؤمنين في هذا الموقف العصيب فحققوا أقصى غايات النجاح .. كان الموت يحيط بهم ويتغشاهم .. ومع ذلك ظلوا ثابتين حول النبي ﷺ .. لا يخيفهم أن المسلمين ولوا الأدبار، وأن المشركين سيقتربون منهم ويمزقونهم بحد السيوف .. وإنما كان إيمانهم بمثابة سياج متين يقيهم الخوف والفرع .. ولهذا وقفوا موقفاً رائعاً خلده الله في كتابه، وأشاد به تاريخ البطولات والأبطال .

حصاد المعركة

وبعد أن انطلق نداء النبي ﷺ في أرجاء الوادي، وانطلق أيضاً نداء عمه العباس يدعو المسلمين إلى العودة للقتال، عاد المسلمون إلى لقاء عدو الله وعدوهم، والتحم الفريقان في قتال عنيف، أبلى المسلمون خلاله بلاءً حسناً، حتى أنزلوا بهوازن والقبائل المتحالفة معها أقسى هزيمة شهدتها الصحراء .

(١) تفهقر : رجع للخلف .

وإلى هذا يُشِيرُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾ .

﴿ بطولة أسامة في حنين ﴾

إِنَّ مَا يَعْنِينَا هُنَا مَوْقِفُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فِي سَاعَةٍ مِنْ أَخْرَاجِ السَّاعَاتِ الَّتِي مَرَّ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ : كَانَ أُسَامَةُ فِي السَّادِسَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ ، وَكَانَتْ هَذِهِ أَوَّلَ غَزْوَةٍ يَخْرُجُ فِيهَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ : وَتَشَاءُ الْأَقْدَارُ أَنْ تَكُونَ أَمْتِحَانًا قَاسِيًا لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَيَثْبُتُ أُسَامَةُ أَمَامَ مَشَاهِدِ الْمَوْتِ ، وَأَمَامَ أَشْبَاحِ الْخَطَرِ ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي أَدْبَرَ فِيهِ الْأَبْطَالُ الصَّنَادِيدُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . .

﴿ تباشير القيادة ﴾

مَوْقِفُ تَرَكَ أَثْرًا عَمِيقًا فِي نَفْسِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَ أُسَامَةَ ، وَرَفَعَ مِنْ مَكَانَتِهِ فِي نَفُوسِ أَقْرَبِ الْمُقْرَبِينَ إِلَيْهِ - الَّذِينَ افْتَدَوْهُ بِأَرْوَاحِهِمْ فِي سَاعَةِ الْخَطَرِ ، وَقَدْ تَأَكَّدَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَبَعْضُ صَحْبِهِ أَنْ أُسَامَةَ جَدِيرٌ بِأَنْ يَكُونَ قَائِدًا فِي هَذِهِ السَّنِّ الْبَاكِرَةِ ، لِأَنَّهُ يَمْلِكُ كُلَّ طَاقَاتِ وَمَوَاهِبِ الْقَائِدِ الشُّجَاعِ ، وَيَسْتَطِيعُ فِي اللَّحْظَاتِ الْحَرِجَةِ أَنْ يَظَلَ ثَابِتَ الْجَنَانِ (١) ، قَوِيَّ الْبَأْسِ ، لَا يَضْعُفُ وَلَا يَلِينُ .

كَانَ أُسَامَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْأَحَدِ عَشَرَ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِمْ

(١) سورة التوبة (الآيتان ٢٥ ، ٢٦) .

(٢) الجنان : القلب .

لحظة إدبار المسلمين فَعَرَفَ كَيْفَ يَتَجَلَّى اللهُ عَلَى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا نَزَلَتْ بِهِمْ مِحْنَةٌ^(١) ، وَكَيْفَ يُظَلِّهِمْ بِقُوَّتِهِ إِذَا حَاقَتْ بِهِمْ كَارِثَةٌ ..

النبي يضمراً

عاد النبي ﷺ وَعَادَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ هَذِهِ الْغَزْوَةِ مُحْمَلِينَ بِالْغَنَائِمِ وَالْأَسْلَابِ^(٢) . . . وَلَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَّرَ أَمْرًا ، وَحَبَسَهُ فِي صَدْرِهِ حَتَّى يَحِينَ مَوْعِدُهُ . . . كَانَ هَذَا الْأَمْرُ هُوَ تَعْيِينُ أُسَامَةَ قَائِدًا لِلجَيْشِ فِي إِحْدَى الْغَزَوَاتِ الْقَادِمَةِ .

ولكن هل يرضى كبار المهاجرين والأنصار أن يكون على رأسهم شاب في مقتبل العمر ، وكل منهم توجد بجسده آثار جراح من المعارك التي خاضها مع النبي ﷺ ؟ وهل من الممكن أن يقتنع كبار الصحابة بكفاية شاب في مثل سن أسامة لدخول معركة من أخطر المعارك التي يحسبون لها ألف حساب ؟

كل هذه الخواطر دارت بذهن^(٣) النبي ﷺ ، ولكنه كان مقتنعاً بصحة رأيه ، ومؤمناً بصواب فكرته . . . كما أنه مقتنع بأن حوله رجالاً لهم شأنهم وخطرهم مثل أبي بكر وعمر وعلى لن يعترضوا على رأيه ، ولن يتنكروا لفكرته . . .

ومع ذلك فإن هذه الخطوة ستكون امتحاناً لقلوب المؤمنين . . . إنهم يعلمون أن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى ، ولا يفكر إلا وملاء ذهنه إشراق من السماء . . . وإذا ما ارتأى رأياً فإن له سنداً من الوحي ، أو مدداً من صفاء العقل ونقاء التفكير . . .

(١) محنة : بلاء وشدة .

(٢) الأسلاب : ما يؤخذ من العدو في الحرب قهراً .

(٣) بذهن : بعقل .

الناقشة

- س ١ : يؤكد التاريخ الصلة القوية بين فتح مكة ، وغزوة حنين .
اشرح . وعلل لما تقول .
- س ٢ : جمعت هوازن أمرها لتضمن النصر .
دلل على صدق هذه العبارة .
- س ٣ : موقف النبي يوم حنين ، درسٌ لقادة الحرب المعاصرين .
وضح ذلك .
- س ٤ : أكمل العبارات الآتية ، بما تراه مناسباً .
(أ) الزهو والخيلاء في الحرب
(ب) الإيمان والثبات
- س ٥ : ما وجه بطولة أسامة يوم حنين ؟ وهل تحب أن تكون بطلاً مثله؟
- س ٦ : للفئة المؤمنة موقف عظيم سجله القرآن .
اشرح الموقف ، ثم اكتب الآية القرآنية .
- س ٧ : علل ما يأتي :
- (أ) قيادة أسامة امتحان للصحابة .
(ب) إخفاء النبي لقرار اتخذه ولم يعلنه .
(ج) ساقط هوازن وثقيف كل ما تملك .
(د) قول بعض المسلمين لن نغلب اليوم عن قلة .



س ٨ : ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة ، وعلامة (x) أمام الخطأ .

(أ) وقف المسلمون وراء مضائق وادي حنين وشعبه .

(ب) هجم المسلمون على أعدائهم فأخذوهم مرة واحدة .

(ج) تقهقر المسلمون فناداهم النبي : هلموا إلى

(د) أنزل المسلمون بهوازن وحلفائها أقسى هزيمة شهدتها الصحراء .

(هـ) كانت غزوة حنين ، أول غزوة يخرج فيها أسامة مع النبي ﷺ .

س ٩ : رتب الأحداث الآتية حسب الوقائع التاريخية .

(أ) فتح مكة . (ب) غزوة حنين . (ج) صلح الحديبية .

س ١٠ : ضع علامة (✓) أمام الإجابة الصحيحة فيما يأتي :

كانت غزوة حنين في السنة (الثامنة - السابعة - السادسة للهجرة) .

كان سن أسامة في غزوة حنين (١٦ سنة - ١٥ سنة - ١٤ سنة) .

الأيام الأخيرة

في حياة النبي ﷺ

تقديم

تَمَّ فَتْحُ مَكَّةَ لِلْمُسْلِمِينَ وَانْتَصَرُوا عَلَى قَبِيلَتِي هَوَازِنَ وَثَقِيفَ وَمَنْ شَايَعَهُمَا^(١) مِنَ الْقَبَائِلِ فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ ، وَخَشِيَ الرُّومَ لِقَاءَهُمْ فِي تَبُوكَ ، فَارْتَدُّوا إِلَى دَاخِلِ بِلَادِهِمْ يَتَحَصَّنُونَ بِهَا خَوْفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ . . . وَدَخَلَ كَثِيرٌ مِنَ الْعَرَبِ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا . . .

النبي يفكر في غزو الروم

كَانَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتَمَتَّعُ بِقِسْطٍ وَافِرٍ مِنَ الصَّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ رَغْمَ الْمَشَاقِّ الَّتِي كَانَ يُكَابِدُهَا لَيْلَ نَهَارٍ فِي سَبِيلِ نَشْرِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَكَانَتْ فِكْرَةُ غَزْوِ الرُّومِ تُلْحِقُ عَلَى ذَهْنِهِ ، وَتَحْتَلُّ جَانِبًا كَبِيرًا مِنْ نَفْسِهِ .
إِنَّهُ لَمْ يَنْسَ مَقْتَلَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَجَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ . . . وَلَمْ يَنْسَ أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ اسْتَطَاعَ بِعَبْقَرِيَّتِهِ الْحَرْبِيَّةِ أَنْ يَعُودَ بِالْجَيْشِ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِ خَسَائِرُ جَسِيمَةٍ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ .
وَلَمْ يَنْسَ أَيْضًا أَنَّهُ ذَهَبَ بِنَفْسِهِ لِمُحَارَبَةِ الرُّومِ ، فَانْخَلَعَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ لِقَائِهِ ، وَفَرُّوا دَاخِلَ بِلَادِهِمْ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُنْزِلْ بِهِمُ الْهَزِيمَةَ الَّتِي كَانَ يَتَمَنَّاها .

(١) ومن شايعهما : ومن تابعهما .

أَلَحَّتْ هَذِهِ الْخَوَاطِرُ عَلَى ذَهْنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِصُورٍ مُتَلَاخِقَةٍ ، مَا جَعَلَهُ يَدْعُو الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْاسْتِعْدَادِ لِعَزْوِ الرُّومِ .

وَلأَوَّلَ مَرَّةٍ يُعْلِنُ النَّبِيُّ ﷺ صِرَاحَةً عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي سَيَذْهَبُ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ ، إِذْ أَنَّهُ اعْتَادَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي غَزَوَاتِهِ السَّابِقَةِ أَنْ يُخْفِيَ أَمْرَهَا حَتَّى لَا تَسْبِقَ أَنْبَاؤُهَا إِلَى أَعْدَائِهِ .

وَلَكِنَّهُ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ اتَّخَذَ أُسْلُوبًا جَدِيدًا . . . إِنَّهُ يُرِيدُ مَنْ كِبَارِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ أَنْ يَخْرُجُوا فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ حَتَّى يُنْزِلُوا بِالرُّومِ هَزِيمَةً تُغَطِّي عَلَى مَا حَدَثَ لِلْمُسْلِمِينَ فِي مُؤْتَةِ . . . وَفِعْلًا أَقْبَلَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ كُلِّ حُدُبٍ وَصُوبٍ (١) مُلَبِّينَ نِدَاءَ الرَّسُولِ ﷺ ، وَأَعْلَنُوا اسْتِعْدَادَهُمْ لِلخُرُوجِ إِلَى حَرْبِ الرُّومِ .

النبي يولى أسامة على الجيش

وَجَاءَ الْيَوْمَ التَّالِي ، وَالْمُسْلِمُونَ كُلُّ مِنْهُمْ يَجْهَزُ مَتَاعَهُ ، وَيُعِدُّ سِلَاحَهُ ، أَنْتِظَارًا لِأَمْرِ الرَّسُولِ ﷺ بِالتَّحْرُكِ .

كَانَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ أَشَدَّ الْمُسْلِمِينَ اعْتِبَابًا بِهَذِهِ الْغَزْوَةِ . . . إِنَّ الْفُرْصَةَ قَدْ وَاتَتْهُ لِيَثَارَ مِنَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَبَاهُ فِي مُؤْتَةِ . . . وَلِيَشْتَرِكَ فِي إِنْزَالِ هَزِيمَةٍ سَاحِقَةٍ بِالرُّومِ . . .

أَخَذَ يُجْهَزُ أَدْوَاتِ الْقِتَالِ ، وَفِكْرَةُ الثَّارِ مُسْتَوْلِيَةٌ عَلَى ذَهْنِهِ ، وَإِذْ هُوَ كَذَلِكَ بَعَثَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَحْضُرَ لِقَابَلَتِهِ . . .

أَسْرَعَ أُسَامَةُ إِلَى بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ . . . وَهُنَاكَ طَبَعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قُبْلَةً حَانِيَةً عَلَى جَبِينِهِ ، وَأَجْلَسَهُ بِجَانِبِهِ ، وَقَالَ لَهُ :

(١) من كل حذب و صوب : من كل جهة .

« سرّ إلى موضع مَقْتَلِ أَبِيكَ ، فَأَوْطَيْتَهُمُ الْخَيْلَ ، فَقَدْ وَلَّيْتُكَ هَذَا الْجَيْشَ ، فَأَغْرَ صَبَاحاً عَلَى أَهْلِ أُبْنَى ، وَحَرَّقَ عَلَيْهِمُ ، وَأَسْرَعَ السَّيْرَ تَسْبِقُ الْأَخْبَارَ ، فَإِنْ ظَفَرَكَ اللَّهُ فَأَقْلِلْ اللَّبْثَ فِيهِمْ ، وَخُذْ مَعَكَ الْأَدْلَاءَ ، وَقَدِّمِ الْعُيُونَ وَالطَّلَائِعَ أَمَامَكَ » .

عَقَلْتُ (١) الْمَفَاجَأَةَ لِسَانَ أُسَامَةَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَنْبَسَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ . . . إِنْ الْاِشْتِرَاكَ فِي غَزْوِ الرُّومِ كَانَ أَقْصَى أُمْنِيَّةٍ لَهُ ، فَمَا بَالُهُ وَقَدْ عُيِّنَ قَائِداً لَجَيْشٍ سَيَّضُمُّ كِبَارَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . . . أَيُّ شَرَفٍ يُعَادِلُ هَذَا الشَّرْفَ ؟ وَأَيُّ إِكْلِيلٍ مِنْ الْعِظَمَةِ سَيَحُلِّي جَبِينَهُ ، إِذْ يَسِيرُ فِي مُقَدِّمَةِ هَذَا الْجَيْشِ . .

القائد الصغير

انصرفت أسامة من بيت النبي ﷺ شاكراً مُغْتَبِطاً (٢) بما أضافه عليه من ثقة وما أسبغ (٣) عليه من تقدير ، إِذْ جَعَلَهُ أَمِيرَ الْجَيْشِ وَهُوَ لَمَّا يَبْلُغُ الْعِشْرِينَ مِنْ عُمُرِهِ ، وَجَلَسَ فِي بَيْتِهِ يَحْدُسُ (٤) بِمَا سَيَكُونُ لِهَذَا النَّبَأِ مِنْ وَقَعٍ فِي نَفُوسِ الْمُسْلِمِينَ . .

وَطَلَعَ فَجْرُ الْيَوْمِ التَّالِي ، وَأَحْسَنَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ آدَاءِ الصَّلَاةِ بِصُدَاعٍ وَارْتِفَاعٍ فِي دَرَجَةِ حَرَارَتِهِ ، وَلَكِنَّ الْمَرَضَ لَمْ يَكُنْ مِنَ الشَّدَةِ بِحَيْثُ يُلْزِمُهُ فِرَاشَهُ .

النبي يعقد اللواء لأسامة

اسْتَدْعَى النَّبِيُّ ﷺ أُسَامَةَ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ وَعَقَدَ لَهُ الْلِوَاءَ (٥) بِيَدَيْهِ الشَّرِيفَتَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :

(١) عقلت : حبست .

(٢) الغبطة : حسن الحال .

(٣) أسبغ : أغم .

(٤) يحدس : يظن ظناً مؤكداً .

(٥) اللواء : علم الجيش دون الراية .

« اغزُ بِاسْمِ اللَّهِ ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَقَاتِلْ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ . »

تَنَاوَلَ أُسَامَةَ اللُّوَاءَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَيْنَاهُ تَشَعَّانِ بِبَرِيقِ الْغَبِطَةِ ،
وَمَلَامِحُ وَجْهِهِ تَنْطِقُ بِالسُّرُورِ . . ثُمَّ رَفَعَهُ إِلَى بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ
الْأَسْلَمِيِّ . . وَخَرَجَ لِيُعَسِّكَرَ بِالْجَرْفِ . . وَهُوَ مَكَانٌ يَبْعُدُ عَنِ الْمَدِينَةِ
بِحَوَالِي ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ . .

بَدَأَ الْمُسْلِمُونَ يَتَوَافَدُونَ^(١) عَلَى الْجَرْفِ لِيُعَسِّكَرُوا فِيهِ ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِ
الْمُنْتَدِبِينَ^(٢) لِهَذِهِ الْغَزْوَةِ : أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَأَبُو عَبِيدَةَ بْنُ
الْجَرَّاحِ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَكِبَارُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . .

وَبَيْنَمَا الْمُسْلِمُونَ يَتَجَمَّعُونَ بِالْجَرْفِ ، اشْتَدَّتْ الْحُمَّى بِالرَّسُولِ ﷺ ،
وَكَانَ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ ، فَاسْتَأْذَنَ نِسَاءَهُ أَنْ يُجْرَى تَمْرِيضُهُ فِي بَيْتِ
عَائِشَةَ . وَلَمَّا أَذِنَ لَهُ خَرَجَ عَاصِباً رَأْسَهُ ، يَتَوَكَّأُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
وَعَلَى عَمِّهِ الْعَبَّاسِ ، وَهُوَ فِي أَشَدِّ حَالَاتِ الْإِعْيَاءِ .

وَنَمَى إِلَيْهِ^(٣) - وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مِنَ الْمَرَضِ وَالْآلَامِ - أَنْ بَعْضَ
الْمُسْلِمِينَ مُتَذَمَّرُونَ^(٤) مِنْ تَعْيِينِ أُسَامَةَ قَائِداً عَلَى جَيْشٍ يَضُمُّ أَجْلَاءَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ .

❖ خُرُوجُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى النَّاسِ وَهُوَ مَرِيضٌ ❖

وَخَشِيَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَسْتَغْلَّ الْمُنَافِقُونَ هَذَا التَّدْمُرَ وَيُحَوِّلُوهُ إِلَى فِتْنَةٍ
بَيْنَ صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ ، فَطَلَبَ مِنْ أَهْلِهِ أَنْ يَسْكُبُوا عَلَيْهِ سَبْعَ قَرَبٍ مِثْلَنٍ
مِنْ سَبْعِ آبَارٍ مُخْتَلِفَةٍ . .

(٢) المنتدبين : المدعوين .

(٤) متذمرون : ثائرون .

(١) يتوافدون : يحضرون جماعات .

(٣) نمى إليه : بلغه .

وَسَرَّعَانَ مَا أَحْضَرَتْ الْقَرْبُ السَّبْعُ وَأُقْعِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طُسْتٍ لِحْفَصَةٍ ، وَقَدْ صُبَّ عَلَيْهِ مَاءُ الْقَرْبِ ، وَلَمَّا ابْتَرَدَ جَسَدُهُ ، وَخَفَّتْ دَرَجَةُ حَرَارَتِهِ قَالَ : حَسْبُكُمْ . حَسْبُكُمْ ^(١) ثُمَّ عَصَبَ رَأْسَهُ ، وَخَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَخَطَبَ فِي الْمُسْلِمِينَ قَائِلًا :

أَيُّهَا النَّاسُ .. أَنْفِدُوا بَعَثَ أُسَامَةَ ، فَلَعَمْرِي لئن قُلْتُمْ فِي إِمَارَتِهِ لَقَدْ قُلْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ، وَإِنَّهُ لَخَلِيقٌ لِلإِمَارَةِ ، وَإِنْ كَانَ أَبُوهُ لَخَلِيقًا لَهَا .
ثُمَّ أَشَارَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي خُطْبَتِهِ إِلَى أَنَّ اللَّهَ خَيْرُهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَهَنَا أَجْهَشُ ^(٢) أَبُو بَكْرٍ بِالْبُكَاءِ ، وَعَرَفَ أَنَّ النَّبِيَّ سَيَذْهَبُ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ .

وَفِي نَهَايَةِ خُطْبَتِهِ أَوْصَى بِالْأَنْصَارِ ، إِذْ قَالَ : يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ .. اسْتَوْصُوا بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا ، فَإِنَّ النَّاسَ يَزِيدُونَ ، وَالْأَنْصَارَ عَلَى هَيْئَتِهَا لَا تَزِيدُ ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا ^(٣) عَنْ مُسِيئَتِهِمْ .

أَلْقَى النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ الْخُطْبَةَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ .. ثُمَّ عَادَ إِلَى بَيْتِ عَائِشَةَ .
وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ اشْتَدَّ الْمَرَضُ بِالنَّبِيِّ ﷺ ، وَتَنَاقَلَ النَّاسُ أَنْبَاءَ الْمَرَضِ حَتَّى سَمِعَ بِهَا أُسَامَةَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَرْفِ ، فَتَرَكُوا الْمُعْسَكَرَ ، وَحَضَرُوا إِلَى بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ أُسَامَةُ فَوَجَدَهُ لَا يَتَكَلَّمُ ..

وَهَنَا طَاطَأٌ ^(٤) أُسَامَةَ حَتَّى قَبَّلَهُ النَّبِيُّ ﷺ ، ثُمَّ جَعَلَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَيَضَعُهُمَا عَلَى أُسَامَةَ ، عَلَامَةَ الدُّعَاءِ لَهُ ..

عَادَ أُسَامَةَ إِلَى الْجَرْفِ ، وَعَادَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ ، وَلَيْسَ بَيْنَهُمْ مَنْ يُفَكِّرُ فِي أَنَّ شَمْسَ النَّبُوَّةِ سَتُؤَذِنُ بِالْمَغِيبِ .

(١) حسبكم : يكفيكم .

(٢) أجھش : شھق بالبكاء .

(٣) تجاوزوا : انحنى .

(٤) طاطأ : اعفوا .

صحوة الموت

وَبَزَعَتْ شَمْسُ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ ، وَالنَّبِيُّ ﷺ فِي حَالَةٍ طَيِّبَةٍ مِنَ الصَّحَّةِ ، لَا يَشْكُو مِنَ الصُّدَاعِ ، وَلَا مِنْ ارْتِفَاعِ دَرَجَةِ الْحَرَارَةِ . . وَأَطْمَأَنَّ الْمُسْلِمُونَ إِلَى أَنَّ الْمَرْحَلَةَ الْخَطِرَةَ مِنَ الْمَرَضِ قَدْ أَنْتَهَتْ ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ مَرَّحَلَةَ الشِّفَاءِ . .

وَعِنْدَ الضُّحَى حَضَرَ إِلَيْهِ أُسَامَةُ ، وَلَمَّا وَجَدَ أَمَارَاتِ الصَّحَّةِ بَادِيَةً عَلَى وَجْهِهِ اسْتَأْذَنَهُ فِي التَّحَرُّكِ بِالْجَيْشِ لِعَزْوِ الرُّومِ . . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : اغْزُ عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ .

كَانَ هَذَا آخِرَ لِقَاءِ بَيْنِ النَّبِيِّ ﷺ وَبَيْنَ أُسَامَةَ ، وَكَانَتْ هَذِهِ آخِرَ كَلِمَاتٍ يَسْمَعُهَا أُسَامَةُ مِنْ فَمِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

انْطَلَقَ أُسَامَةُ إِلَى الْجَرْفِ يُعْلِنُ بَدَأَ التَّحَرُّكِ إِلَى حُدُودِ الشَّامِ . .

وَبَدَأَ الْمُسْلِمُونَ يَأْخُذُونَ أَهْبَتَهُمْ^(١) لِلرَّحِيلِ .

وَلَكِنْ قَبْلَ أَنْ تَمُرَّ بِضِعِّ سَاعَاتٍ فُوجِيَ أُسَامَةَ بِزَوْجَتِهِ مُقْبِلَةً عَلَيْهِ .

أَحْسَّ لَحْظَتِهَا أَنَّ شَيْئًا خَطِيرًا قَدْ حَدَثَ . . وَتَلَا حَقَّتْ دَقَاتُ قَلْبِهِ . . وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَحْدِسَ^(٢) بِالضَّبْطِ سَبَبَ حُضُورِ زَوْجَتِهِ . .

وَفَكَّرَ فِي مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ . . إِنَّهُ تَرَكَهُ مِنْذُ سَاعَاتٍ قَدْ تَخَطَّى مَرَّحَلَةَ الْخَطَرِ . . مَاذَا حَدَثَ إِذَنْ ؟ وَإِذْ هُوَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ مِنَ التَّوَجُّسِ^(٣) . .

بَادَرَتْهُ زَوْجَتُهُ بِقَوْلِهَا . . إِنَّ الْمَرَضَ اشْتَدَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ ، وَحَيَاتُهُ فِي خَطَرٍ !!

حَيَاةُ النَّبِيِّ فِي خَطَرٍ !! . . كَلِمَةٌ سَمِعَهَا أُسَامَةُ فَكَادَتْ تَتَمَرَّقُ مِنْهَا نَفْسُهُ . . بَلْ كَادَتْ تَخُورُ قُوَاهُ فَيَسْقُطُ عَلَى الْأَرْضِ . .

نَظَرَ إِلَى زَوْجَتِهِ لِحَظَاتٍ لَا يَدْرِي كَيْفَ مَرَّتْ عَلَيْهِ .

(٢) يحدس : يظن .

(١) أهبتهم : استعدادهم .

(٣) التوجس : الترقب خوفاً .

وَوَظَلَ شَارِدَ الْفِكْرِ .. يُحْسُ كَأَنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا أَوْصَدَتْ^(١) أَبْوَابَهَا فِي وَجْهِهِ ..
 إِذَا حَاوَلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ تَذَوَّبُ الْكَلِمَاتُ عَلَى شَفْتَيْهِ .. وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَبْكِي
 تَتَجَمَّدُ الدَّمُوعُ فِي عَيْنَيْهِ ، وَتَتَحَدَّرُ إِلَى نَفْسِهِ لِأَذْعَةِ كَالْجَمْرِ .
 وَفِي نَبْرَاتٍ خَافِتَةٍ حَزِينَةٍ أُعْلِنَ أُسَامَةُ فِي الْجَيْشِ أَنَّ حَيَاةَ النَّبِيِّ ﷺ
 فِي خَطَرٍ ..

فَزَعَّ الْمُسْلِمُونَ لِهَذَا النَّبَأِ ، وَتَرَكَوا الْمَعْسَكَرَ ، وَعَادُوا مُسْرِعِينَ إِلَى
 الْمَدِينَةِ ..

وَعِنْدَمَا وَصَلُوا إِلَى بَيْتِ عَائِشَةَ كَانَتْ الشَّمْسُ قَدْ أَذْنَتْ بِالْمَغِيبِ ، وَفِي
 الْوَقْتِ نَفْسُهُ كَانَتْ شَمْسُ النَّبُوَّةِ فِي طَرِيقِهَا إِلَى حَيْثُ يَرْقُدُ النَّبِيُّونَ فِي
 أَعْلَى عَلِيِّينَ ..

سَمِعَ أُسَامَةُ بَوَفَاةَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَرَكَزَ اللَّوَاءَ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ ، وَدَخَلَ
 يُلْقِي عَلَيْهِ نَظْرَةَ الْوَدَاعِ .. إِنَّ الْحُزْنَ الَّذِي تَمَلَّكَهُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ شَيْءٌ
 يَعْجِزُ عَنْهُ الْوَصْفُ .

لَوْ أَنَّ عَيْنَيْهِ أُطْفِئَتَا .. لَوْ أَنَّ كَبِدَهُ تَمَزَّقَتْ .. لَوْ أَنَّ جَسَدَهُ أُلْقِيَ حَيًّا
 فِي أْتُون^(٢) مُلْتَهَبٍ .. لَمَا كَانَ كُلُّ ذَلِكَ يُعَادِلُ قَطْرَةَ حُزْنٍ مِمَّا يَجْرِي فِي
 عُرُوقِهِ ، وَيَمْلَأُ كِيَانَهُ كُلَّهُ .

إِنَّ أُسَامَةَ كَانَ جُزْءًا مِنْ قَلْبِ النَّبِيِّ .. كَانَ هَذَا الْقَلْبُ الْكَبِيرُ يَنْبِضُ
 بِحُبِّ أُسَامَةَ .. كَمَا كَانَ يَنْبِضُ بِحُبِّ أَبِيهِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ مِنْ قَبْلِهِ ..

وَأَبِي أُسَامَةَ إِلَّا أَنْ يَشْتَرِكَ فِي غَسْلِ الرَّسُولِ ﷺ ، فَوْقَ هُوَ وَمَوْلَى
 النَّبِيِّ يَصْبَانِ الْمَاءَ عَلَى جُثْمَانِهِ^(٣) الطَّاهِرِ ، وَيُشِيْعَانِهِ بِنَظْرَاتٍ كُلِّهَا أَسَى
 وَالتِّيَاعِ^(٤) .

(٢) أتون : فرن يشتعل نارا .

(٤) أسى والتِّياع : حزن وألم .

(١) أوصدت : أغلقت .

(٣) جثمانه : جسده الشريف .

الناقشة

س ١ : بلغت الدولة الإسلامية في أواخر أيام النبي ﷺ عمرها الفتى .
 دلت على صدق هذه العبارة .

س ٢ : متى فكر النبي ﷺ في تأمين حدود الدولة الإسلامية ؟
 وما الخطة التي رسمها ؟

س ٣ : علل ما يأتي :

(أ) عقلت المفاجأة لسان أسامة .

(ب) تدمر بعض المسلمين من قيادة أسامة .

(ج) تفكير النبي ﷺ في حرب الروم .

س ٤ : أكمل ما يأتي بكلمة واحدة :

« خَشِيَ أن يستغل هذا التدمير ويحولوه إلى بين

..... فخطبهم النبي قائلاً : أيها أنفذوا أسامة » .

س ٥ : خطب النبي ﷺ المسلمين وهو في مرضه فأجب عما يأتي :

(أ) ما مناسبة الخطبة ؟

(ب) ما الأفكار التي دارت عليها الخطبة ؟

(ج) لماذا أجهش أبو بكر بالبكاء ؟

س ٦ : اختر الإجابة الصحيحة بوضع علامة (✓) ، مما بين القوسين

فيما يأتي :

(أ) خرجت زوجة أسامة إلى الجرف :

(لتشارك في الحرب - لتودع زوجها أسامة - لتخبر زوجها بشدة مرض النبي) .

(ب) رجع الجند من معسكر الجرف إلى المدينة :

(لأنهم لا يريدون الحرب - لأنهم مجتمعين على قيادة أسامة - ليعودوا النبي

ﷺ في مرضه) .



امتحان عسير

تقديم

كانت وفاة النبي ﷺ امتحاناً عسيراً للمسلمين ، فقد ثبت المؤمنون على إيمانهم ، ورفضوا أن يفرطوا في شيء من أمور الإسلام ، قال أبو بكر عن المرتدين :

« والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه رسول الله ﷺ ، لقاتلتهم عليه » .

وجاء عمر بن الخطاب إلى أبي بكر برأى الأنصار في قيادة أسامة للجيش ، فأخذ الخليفة بلحيته وقال له :

« ثكلتك أمك يا ابن الخطاب . . استعمله رسول الله وتأمرني أن أنزعه » .

❖ حال الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول ❖

كَانَتْ وَفَاةُ النَّبِيِّ ﷺ امْتِحَانًا عَسِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ^(١) عَلَى السَّوَاءِ ، الْمُؤْمِنُونَ تَشَبَّهُوا^(٢) بِدِينِهِمْ وَأَبَوْا أَنْ يُفَرِّطُوا فِيهِ وَالْمُنَافِقُونَ أَعْلَنُوا ارْتِدَادَهُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَجَهَرُوا بِهَذِهِ الرَّدَّةِ^(٣) ، مِمَّا جَعَلَ الْيَهُودَ وَالْمَشْرِكِينَ يَتَحَفَّزُونَ^(٤) لِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَوْشَكَ الْمَوْقِفُ أَنْ يَنْفَجِرَ . . .

(٢) تشبهوا : تمسكوا .

(٤) يتحفزون : يستعدون .

(١) المنافق : هو الذي يظهر خلاف ما يبطن .

(٣) الردة : الكفر بعد الإسلام .

ومَّا زَادَ الْمَوْقِفَ حِدَةً وَسُوءًا مَا ثَارَ بَيْنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ مِنْ جَدَلٍ حَوْلَ الْخِلَافَةِ قَبْلَ مُبَايَعَةِ أَبِي بَكْرٍ ..

مَوْقِفٌ يَتَطَلَّبُ الْحَزْمَ ، وَيَتَطَلَّبُ الْحِكْمَةَ .. وَإِلَّا انْقَلَبَ دَمَارًا وَهَلَاكًا .
 إِنَّ أَبَا بَكْرٍ يَبْدَأُ خِلَافَتَهُ بِأَخْطَرِ مَا يَبْتَدِئُ بِهِ حَاكِمٌ عَهْدَهُ .. إِنَّهُ أَمَامَ
 فِتْنَةِ الْمُرْتَدِّينَ ، وَأَمَامَ تَرَبُّصِ الْيَهُودِ وَالْمَشْرِكِينَ .. وَأَمَامَ مِحْنَةِ الْمُتَذَمِّرِينَ^(١)
 عَلَى تَوَلِيَةِ أُسَامَةَ قِيَادَةَ الْجَيْشِ ..

كَيْفَ يَتَصَرَّفُ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ حَوْلَهُ يُنْذِرُ بِالْخَطَرِ ..

❖ إعلان أبي بكر إتمام بعث أسامة ❖

هَلْ يُوجَلُّ إِسْرَالُ جَيْشِ أُسَامَةَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنَ الْقَضَاءِ عَلَى أَهْلِ الرَّدَّةِ ؟
 وَحَتَّى يَتَأَهَّبَ^(٢) لِمُحَارَبَةِ الْيَهُودِ وَالْمَشْرِكِينَ إِذَا هَبُّوا لِمَنَاجِزَةِ^(٣) الْمُسْلِمِينَ .
 إِنَّ الْمَوْتَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُخَالَفَ أَمْرَ الرَّسُولِ ﷺ .. لَقَدْ أَمَرَ الرَّسُولُ
 بِإِنْفَازِ^(٤) جَيْشِ أُسَامَةَ ، وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ .. وَأَصَرَ عَلَى أَنْ يَكُونَ
 أُسَامَةُ قَائِدَ الْجَيْشِ رَغْمَ اعْتِرَاضِ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ..
 إِذْنٌ لَا خِيَارَ فِي هَذَا الْأَمْرِ .. جَيْشُ أُسَامَةَ يَجِبُ أَنْ يَنْطَلِقَ لِقِتَالِ الرُّومِ ..
 هَذَا أَوَّلُ خَاطِرِ دَارِ بَدْهَنِ أَبِي بَكْرٍ ، وَهُوَ فِي السَّاعَاتِ الْأُولَى مِنْ بَدَايَةِ
 حُكْمِهِ .. وَعَلَى الْفَوْرِ أَعْلَنَ فِي النَّاسِ : لِيَتِمَّ بَعْثُ أُسَامَةَ ..

❖ امتحان أبي بكر على أيدي السابقين الأولين ❖

كَانَ أَبُو بَكْرٍ يَعْلَمُ أَنَّ إِسْرَالَ جَيْشِ أُسَامَةَ سَيُثِيرُ حَوْلَهُ بَعْضَ الْجَدَلِ ..
 وَمَعَ هَذَا كَانَ تَنْفِيذُ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ أَهَمُّ كَثِيرًا مِنْ نَقْدِ النَّاقِدِينَ ،
 وَتَذَمُّرِ الْمُتَذَمِّرِينَ ..

(٢) يتأهب : يستعد .

(٤) إنفاذ : خروج وإرسال .

(١) المتذمرين : الثائرين .

(٣) مناجزة : قتال .

وعندما علم المسلمون أن أبا بكر قرَّرَ إرسال جيش أسامة ، تَجَمَّعَ نَفَرٌ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَذَهَبُوا إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَقَالُوا لَهُ :
إِنَّ جَيْشَ أُسَامَةَ جُنْدُ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْعَرَبُ قَدْ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَفَرِّقَ عَنْكَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ ..

وهنا يواجه أبو بكر أول امتحان له وهو خليفة ..
أَيْسْتَجِيبُ لِرَغْبَةِ كِبَارِ الْمُسْلِمِينَ ، وَيُوجِّلُ تَحْرُكَ جَيْشِ أُسَامَةَ ؟ أَمْ يَنْفِذُ
أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَيَتَحَمَّلُ مَسْئُولِيَّةَ هَذَا الْأَمْرِ وَحْدَهُ ؟

سَمِعَ أَبُو بَكْرٍ هَذَا الرَّأْيَ مِنْ كِبَارِ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمْ يَسْأَلْ سَبِيلَ الْمُحَاوَرَةِ
وَالْمُذَاوَرَةِ فِي رَدِّهِ ، وَإِنَّمَا أَجَابَ إِجَابَةً قَاطِعَةً حَسَمَ بِهَا الْمَوْقِفَ كُلَّهُ . قَالَ :
وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي بَكْرٍ بِيَدِهِ لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّ السَّبَّاعَ تَخْطِفُنِي لِأَنْفَذْتُ بَعَثَ
أُسَامَةَ^(١) ، كَمَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَلَوْ لَمْ يَبْقَ غَيْرِي فِي الْقُرَى لِأَنْفَذْتُهُ .
كَانَتْ إِجَابَةُ أَبِي بَكْرٍ بِمِثَابَةِ إِشَارَةٍ إِلَى الطَّرِيقِ الَّذِي سَيَسْأَلُكَ فِي
خِلَافَتِهِ .. إِنَّهُ سَيَتَرَسَّمُ خَطَى الرَّسُولِ ﷺ ، وَيُنْفِذُ تَعَالِيمَهُ ، وَلَنْ
يُحِيدَ^(٢) عَنِ السَّيْرِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ .

موقف الأنصار من قيادة أسامة

وَرَغِمَ أَنْ إِجَابَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ صَرِيحَةً وَقَاطِعَةً ، فَإِنَّ الْأَنْصَارَ ذَهَبُوا إِلَى
عُمَرَ ، وَنَاشَدُوهُ أَنْ يَنْقُلَ رَغْبَتَهُمْ إِلَى خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ فِي تَعْيِينِ قَائِدٍ
لِلْجَيْشِ أَكْبَرَ سِنًا مِنْ أُسَامَةَ ..

(١) لأنفذت بعث أسامة : لسيرت جيش أسامة .

(٢) لن يحيد : لن ينحرف .

وهنا ترْتَسِمُ عَلَامَةٌ اسْتَفْهَامٌ كَبِيرَةٌ . . لِمَاذَا لَجَأَ الْأَنْصَارُ إِلَى عُمَرَ
بِالذَّاتِ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ ؟ أَلْحَسُوا أَنَّهُ يُشَارِكُهُمْ وَجْدَانِيًّا فِي تَعْيِينِ بَدِيلٍ
لِأَسَامَةَ ؟ أَمْ أَنَّهُمْ أَرَادُوا أَلَّا يَنْفَرِدُوا بِهَذَا الْمَطْلَبِ ، فَيَجْعَلُوا عُمَرَ شَرِيكًا
لَهُمْ فِيهِ ؟

رَبَّمَا تَكُونُ هَذِهِ الْفِكْرَةُ أَوْ تِلْكَ طَافَتْ بِأَذْهَانِ الْأَنْصَارِ . وَلَكِنْ مَا
مَوْقِفُ عُمَرَ ؟

إِنَّ تَحْدِيدَ دَوْرِهِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ سَيَكُونُ لَهُ أَثْرٌ بَعِيدٌ فِي أَمْرٍ مِنْ أخطرِ
الْأُمُورِ فِي بَدْءِ خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ .

الْوَاقِعُ أَنَّ عُمَرَ لَمْ يَكُنْ لَهُ رَأْيٌ صَرِيحٌ فِي مَسْأَلَةِ أُسَامَةَ . . أَوْ بِمَعْنَى
أَوْضَحَ لَمْ يَعْتَرِضْ صَرَاحَةً عَلَى تَعْيِينِ أُسَامَةَ قَائِدًا لِجَيْشٍ سَيَكُونُ هُوَ فِيهِ
أَحَدَ الْجُنُودِ .

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ طَوَالَ الْمَشَاوِرَاتِ الَّتِي دَارَتْ هُنَا وَهُنَاكَ حَوْلَ تَعْيِينِ بَدِيلٍ
لِأَسَامَةَ رَأْيٌ أَوْ اتِّجَاهٌ . .

كُلُّ مَا فَعَلَهُ أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ رَأْيَ الْأَنْصَارِ ، دُونَ
أَنْ يُؤَيِّدَ رَأْيَهُمْ أَوْ يَفْنِدَهُ (١) . . كَانَ سَفِيرًا أَمِينًا فِي إِبْلَاحِ وَجْهَةِ نَظَرِ الْأَنْصَارِ
إِلَى خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ . . وَلَكِنْ مَاذَا كَانَتْ نَتِيجَةُ سِفَارَتِهِ . .

لَقَدْ ثَارَ أَبُو بَكْرٍ حِينَ سَمِعَ مِنْ عُمَرَ رَأْيَ الْأَنْصَارِ ، وَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ ، وَقَالَ
لَهُ وَهُوَ غَاضِبٌ : ثَكَلْتِكَ (٢) أُمَّكَ وَعَدِمْتِكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ . . اسْتَعْمَلَهُ (٣)
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَأْمَرُنِي أَنْ أَنْزِعَهُ !!

(١) يَفْنِدُهُ : يَعْتَرِضُ عَلَيْهِ .

(٢) ثَكَلْتِكَ : فَقَدْتِكَ .

(٣) اسْتَعْمَلَهُ : جَعَلَهُ قَائِدًا لِلْجَيْشِ .

لَوْ أَنَّ عُمَرَ كَانَ يُؤَيِّدُ وَجْهَةَ نَظَرِ الْأَنْصَارِ لَوَافَقَ - وَلَوْ تَلْمِيحًا - عَلَى صِحَّةِ رَأْيِهِمْ ، أَوْ عَلَى الْأَقْلِّ ، تَبَاحَثَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ بِشَأْنِ خُطُورَةِ الْمَوْقِفِ فِي الْمَدِينَةِ ، بَلْ فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ كُلِّهَا . وَكَانَتْ كُلُّ الظُّرُوفِ الْمُحِيطَةِ بِأَبِي بَكْرٍ تَدْعُو إِلَى التَّخَوُّفِ مِنْ خُرُوجِ جَيْشِ أُسَامَةَ ، إِذْ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَتَرَبَّصُّ^(١) بِالْإِسْلَامِ ، وَمَنْ يُحَاوِلُ أَنْ يَجْعَلَ نِهَآئَتَهُ مُرْتَبِطَةً بِوَفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ . . .

يَقْتَضِينَا الْإِنْصَافُ أَنْ نَقُولَ : إِنَّ عُمَرَ لَمْ يُبْدِ أَيَّ اعْتِرَاضٍ عَلَى تَعْيِينِ أُسَامَةَ قَائِدًا لِلْجَيْشِ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ سَفَارَتُهُ مِنْ قِبَلِ الْأَنْصَارِ بِمِثَابَةِ وَضْعِ حَدِّ لَبْلَبَةٍ تَوْشِكُ أَنْ تَتَحَوَّلَ إِلَى انفجارٍ . . .

❁ سياسة أبي بكر ❁

رَجَعَ عُمَرُ إِلَى الْجَرْفِ ، وَنَقَلَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ رَدَّ أَبِي بَكْرٍ . . . كَانَ رَدًّا حَاسِمًا قَطَعَ كُلَّ جَدَلٍ أَوْ نِقَاشٍ حَوْلَ بَعْثِ أُسَامَةَ . . . وَكَانَ بِمِثَابَةِ خَطِّ عَرِيضٍ لِسِيَاسَةِ أَبِي بَكْرٍ الَّتِي سَيَسِيرُ عَلَيْهَا بَعْدَ الرَّسُولِ ﷺ . . .

لَقَدْ أَعْلَنَ أَبُو بَكْرٍ أَنَّهُ سَيَنْفِذُ كُلَّ مَا أَمَرَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ . . . لَا مَجَالَ فِي ذَلِكَ لِلْأَخْذِ وَالرَّدِّ ، وَلَا مَحَلَّ لِلْمُحَاوَرَةِ وَالْمُدَاوَرَةِ^(٢) .

وَمِنْ هُنَا كَانَ إِصْرَارُهُ عَلَى إِتْمَامِ بَعْثِ أُسَامَةَ ، مَعَ عِلْمِهِ بِمَا يُحِيطُ بِالْمَدِينَةِ مِنْ فِتْنٍ وَمُؤَامِرَاتٍ . . . وَحَاجَتِهِ إِلَى جَيْشٍ يَحْمِي الْمَدِينَةَ مِنَ الْخَوْنَةِ .

(١) يتربص : ينتظر ليهجم .

(٢) المحاورة والمداورة : الجدال .

الناقشة

س ١ : صور بقلمك الحالة السياسية للدولة الإسلامية ، عقب وفاة النبي ﷺ .

س ٢ : اختر الإجابة الأدق مما يأتي بوضع مستطيل حولها .
(أعداء الدولة الإسلامية هم)

(أ) الذين اعترضوا على قيادة أسامة من المنافقين .

(ب) الروم .

(ج) المهاجرون .

س ٣ : ما موقف اليهود داخل الجزيرة العربية من الدولة الإسلامية بعد وفاة النبي ﷺ ؟

س ٤ : علل ما يأتي :

(أ) « أرسل الأنصار عمر إلى الخليفة » .

(ب) « رأى بعض المسلمين ألا يتسرع أبو بكر في حرب المرتدين » .

س ٥ : أكمل مكان النقط فيما يأتي :

(أ) أسامة صغير لا يصلح وفي الجيش من هو وأكثر

..... بالحرب .

(ب) لم يكن لـ رأى خاص به في قيادة أسامة ، بل كان

..... بين والخليفة .

(ج) ثبت من تصرف أنه كان وليس مبتدعاً .

س ٦ : لخص الأفكار التي دارت حولها حوادث هذا الفصل .

أسامة بطل اللقاء

تقديم

تحرك جيش أسامة نحو الروم ، يضم كبار المهاجرين والأنصار ، ويشهد التاريخ موقفاً إنسانياً رائعاً للخليفة ، حيث يسير أسامة ممتطياً صهوة جواده ، ويسير أبو بكر بجواره على قدميه ، فيستحي أسامة ويقول :

«يا خليفة رسول الله ، لتركن أو لأنزلن» .

فيأتي جواب أبي بكر ، في قمة التواضع .

«وما على أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة» .

مسيرة جيش أسامة

إِذَنْ لَا مَحِيصٌ^(١) عَمَّا أَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ ، وَأَنْفَذَهُ خَلِيفَتَهُ أَبُو بَكْرٍ . . .
 أُسَامَةُ سَيَظَلُّ قَائِدًا لِلْجَيْشِ ، رَغْمَ مَا أَثِيرَ حَوْلَهُ مِنْ مُنَاقَشَاتٍ
 وَخِلَافَاتٍ .

الْجَيْشُ سَيَتَحَرَّكُ لِعِزْوِ الرُّومِ ، رَغْمَ آرَاءِ الْمُعْتَرِضِينَ وَالْمُثَبِّطِينَ^(٢) . . . وَحَدَّدَ
 أَبُو بَكْرٍ مَوْعِدَ التَّحَرُّكِ . . . وَرَاحَ يُودِّعُ أَوْلَّ جَيْشٍ فِي عَهْدِهِ يَخْرُجُ غَازِيًا فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ .

(١) لا محيص : لا مفر .

(٢) المثبطين : من ثبط همته انتقص منها وأضعفها .

مشهد إنساني رائع

شَهِدْتُ سَاعَةَ الْوَدَاعِ أَرْوَعَ الْمَوَاقِفِ الْإِنْسَانِيَّةِ . . أَبُو بَكْرٍ خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ مَاشَ عَلَى قَدَمَيْهِ بِجَوَارِ أُسَامَةَ وَهُوَ رَاكِبٌ جَوَادَهُ . . لَا لِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ تَكُنْ مَعَهُ دَابَّتُهُ ، فَقَدْ كَانَتْ خَلْفَهُ يَقُودُهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ . . وَإِنَّمَا لِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَرَادَ أَنْ يُقَدِّمَ لِلْإِنْسَانِيَّةِ أَرْوَعَ مَثَلٍ عَلَى أَنَّ عَظْمَةَ الْقَائِدِ لَيْسَتْ فِي الْأَبْهَةِ وَالْفَخْفَخَةِ ، وَإِنَّمَا فِي رِقَّةِ الشَّمَائِلِ ^(١) ، وَحُسْنِ الْمَعَامَلَةِ ، وَجَمَالِ الطَّبَاعِ .

وَخَجَلَ أُسَامَةُ حِينَ رَأَى أَبَا بَكْرٍ ، وَهُوَ شَيْخٌ وَقُورٌ ، يَمْشِي بِجَوَارِ جَوَادِهِ ، فَقَالَ لَهُ :

« يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ . . لَتُرَكِّبَنَّ أَوْ لَا تُنْزَلَنَّ » .

هُنَا يَبْلُغُ الْمَوْقِفِ الْإِنْسَانِيَّ أَقْصَى ذِرْوَةَ ^(٢) لَهُ مِنَ الْعَظْمَةِ وَالْجَلَالِ .

إِذْ يَرِدُ أَبُو بَكْرٍ بِلَهْجَةٍ كُلِّهَا تَوَاضَعٌ قَائِلًا لِأُسَامَةَ :

« وَاللَّهِ لَا تُنْزَلُ . . وَوَاللَّهِ لَا أَرْكَبُ . . وَمَا عَلَىَّ أَنْ أُغْبِرَّ قَدَمَيَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَاعَةً » .

وَيَتَمَلَّكُ أُسَامَةَ الْخَجَلَ مَرَّةً أُخْرَى ، وَيَرَى أَنَّ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ غَالَى ^(٣) فِي تَكْرِيمِهِ ، وَبَالَغَ فِي تَقْدِيرِهِ . . وَلَكِنَّهُ لَا يَمْلِكُ إِلَّا أَنْ يُذْعَنَ ^(٤) لِرَغْبَةِ أَبِي بَكْرٍ ، وَيَظَلُّ رَاكِبًا جَوَادَهُ ، بَيْنَمَا خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ مَاشَ عَلَى قَدَمَيْهِ . .

وَإِذْ هُمَا كَذَلِكَ إِذَا أَبُو بَكْرٍ يَلْتَفِتُ إِلَى أُسَامَةَ وَيَقُولُ لَهُ : إِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تُعِينَنِي بِعُمَرَ فافْعَلْ . .

(٢) ذروة الشيء : أعلاه .

(٤) يذعن : يستجيب .

(١) رقة الشمائيل : الصفات الحسنة .

(٣) غالى : أكثر .

أَيُّ أَدَبٍ هَذَا الَّذِي تَأَدَّبَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ؟ أَيُّ عَظَمَةِ نَفْسِيَّةٍ تِلْكَ الَّتِي يَتَحَلَّى بِهَا؟ أَيُّ خُلُقٍ قَوِيمٍ هَذَا الَّذِي يَتَجَلَّى فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ . إِنَّهُ خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ ، وَبِيَدِهِ أَنْ يُصَدِّرَ مَا شَاءَ مِنَ الْأَوَامِرِ ، وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ يُرْسِلَ فِي الْجَيْشِ مَنْ شَاءَ ، وَيَسْتَبْقَى مَنْ شَاءَ . . . وَلَكِنَّهُ لَمْ يُرَدِّ أَنْ يُشْعَرَ أُسَامَةَ أَنَّهُ انْتَزَعَ حَقًّا مِنْ حُقُوقِهِ ، وَاسْتَبْقَى عُمَرَ دُونَ أَنْ يَأْخُذَ رَأْيَهُ . . .

وَكَانَ رَدُّ أُسَامَةَ الْمُوَافَقَةَ بِالطَّبَعِ . ثُمَّ وَقَفَ أَبُو بَكْرٍ يَخْطُبُ الْجَيْشَ قَائِلًا :

❖ وصية أبي بكر للجيش ❖

«أَيُّهَا النَّاسُ . . . قِفُوا أَوْصِيَكُمْ بِعَشْرٍ فَاحْفَظُوهَا عَنِّي . . . لَا تَخُونُوا ، وَلَا تَغْلُوا^(١) ، وَلَا تَغْدِرُوا ، وَلَا تُمَثِّلُوا^(٢) ، وَلَا تَقْتُلُوا طِفْلًا صَغِيرًا ، وَلَا شَيْخًا كَبِيرًا ، وَلَا امْرَأَةً ، وَلَا تَعْقِرُوا^(٣) نَخْلًا ، وَلَا تَحْرِقُوهُ ، وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرَةً مُثْمِرَةً ، وَلَا تَذْبَحُوا شَاةً وَلَا بَقْرَةً وَلَا بَعِيرًا إِلَّا لِمَأْكَلَةٍ . وَسَوْفَ تَمُرُّونَ بِأَقْوَامٍ قَدْ فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِ^(٤) ، فَدَعُوهُمْ وَمَا فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ ، وَسَوْفَ تُقَدِّمُونَ عَلَى قَوْمٍ يَأْتُونَكُمْ بِأَنِيَّةٍ فِيهَا أَلْوَانُ الطَّعَامِ ، فَإِذَا أَكَلْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ فَادُكْرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَتَلَقُّونَ أَقْوَامًا قَدْ فَحَصُوا أَوْسَاطَ رُءُوسِهِمْ ، وَتَرَكَوا حَوْلَهَا . مِثْلَ الْعَصَائِبِ ، فَاحْفَظُوهُمْ بِالسَّيْفِ خَفَقًا^(٥) . ائِدْفَعُوا^(٦) بِاسْمِ اللَّهِ ، أَقْنَاكُمْ اللَّهُ بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونَ^(٧) . إِنَّ هَذِهِ الْخُطْبَةَ تَتَضَمَّنُ الْمَبَادِئَ الْإِسْلَامِيَّةَ الَّتِي نَادَى بِهَا الرَّسُولُ ، وَتَحْمِلُ فِي طَوَايِهَا أَعْمَقَ الْمَعَانِي الْإِنْسَانِيَّةِ وَأَسْمَاهَا .

- (١) لا تغلو : لا تأخذوا بدون حق . (٢) لا تمثّلوا : حرم الإسلام المثلة وهي قطع أعضاء الجسد . (٣) لا تعقروا : لا تقطعوا . (٤) الصوامع : جمع صومعة بيت العبادة . (٥) خفقا : اقتلواهم قتلا . (٦) اندفعوا : سيروا بقوة إلى العدو . (٧) أقناكم الله بالطعن والطاعون : حفظكم الله بسيفكم ونزل الطاعون بعدوكم .

وَإِذَا كَانَ أَبُو بَكْرٍ قَدْ وَجَّهَ هَذِهِ الْخُطْبَةَ إِلَى الْجَيْشِ عَامَّةً فَلَمْ يَفْتَهُ أَنْ يُوجِّهَ حَدِيثًا خَاصًا لِقَائِدِ الْجَيْشِ . . قَالَ لِأَسَامَةَ ، وَهُوَ يُوشِكُ أَنْ يَتَحَرَّكَ بِالْجَيْشِ .
اصْنَعْ مَا أَمَرَكَ بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ ، أبدأ ببِلَادِ قُضَاعَةَ ، ثُمَّ آتِ أَبِلَ ، وَلَا تُقْصِرَنَّ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ، وَلَا تَعْجَلَنَّ لِمَا خَلَفْتَ عَنْ عَهْدِهِ (١) .

❖ لقاء وثار ❖

بَعْدَ هَذَا انْطَلَقَ جَيْشُ أُسَامَةَ يَقْطَعُ الْبَيْدَ وَيَجُوبُ الْفِيَّافِي (٢) وَيَحْتَمِلُ مَشَاقَّ السَّفَرِ فِي صَبْرٍ وَإِيمَانٍ ، حَتَّى بَلَغَ الْبُلْقَاءَ (٣) حَيْثُ دَارَتْ الْمَعْرَكَةُ الَّتِي اسْتُشْهِدَ فِيهَا وَالِدُهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَزَمِيلَاهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنُ رَوَاحَةَ . . وَهَنَا قَفِزْتُ إِلَى ذَهْنِهِ ذِكْرِي الْمَعْرَكَةَ السَّابِقَةَ ، كَأَنَّمَا دَارَتْ رَحَاهَا أَمْسُ .

وَعَلَى الْفُورِ هَاجَمَ أُسَامَةُ الْقُرَى الَّتِي حَدَّدَهَا لَهُ الرَّسُولُ وَخَلِيفَتُهُ ، فَقَتَلَ مِنْ أَهْلِهَا الْكَثِيرَ ، كَمَا أُسِرَ مِنْهُمْ عَدَدٌ كَبِيرٌ ، وَكَانَ شِعَارَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ :
يَا مَنْصُورَ أُمَّتٍ .

بَعْدَ أَنْ اسْتَسَلَّمَ أَهْلُ هَذِهِ الْقُرَى لِجَيْشِ أُسَامَةَ مَكَثَ بِهَا يَوْمًا وَاحِدًا يَجْمَعُ الْغَنَائِمَ وَالْأَسْلَابَ ، ثُمَّ قَفَلُوا رَاجِعِينَ ، وَلَمْ يَفْقِدُوا جُنْدِيًّا وَاحِدًا . .
وَعَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ بِنْتِيجَةَ الْغَزْوَةَ فَخَرَجَ فِي جَمْعٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ يَسْتَقْبِلُ الْجَيْشَ الْمُظْفَرَ . .

وَكَانَتِ الْمُدَّةُ الَّتِي اسْتَغْرَقَهَا الْجَيْشُ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَقِيلَ سَبْعِينَ يَوْمًا . .

(١) وَلَا تَعْجَلَنَّ لِمَا خَلَفْتَ مِنْ عَهْدِهِ : لَا تَقْصِرْ فِيمَا أَمَرَكَ بِهِ النَّبِيُّ وَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ .

(٢) الْفِيَّافِي : الصَّحْرَاءُ الْوَاسِعَةُ .

(٣) الْبُلْقَاءُ : الْمَكَانُ الَّذِي التَقَى فِيهِ أُسَامَةُ بِالْعَدُوِّ .

ودخل أسامة المدينة على فرس أبيه «سُبْحَةَ»، واتَّجَهَ على الفور إلى المسجد، حيثُ صَلَّى رُكْعَتَيْنِ، ثم انصَرَفَ إلى بيته.

❖ أثر المعركة ❖

أَحْدَثَتْ هذه الغزوة دَوِيًّا هَائِلًا في الجزيرة العربية كُلِّها، وفي بلاد الروم أيضًا.. فقد اعتقد كلُّ من كانوا يُريدون التحرشَ بالمسلمين أَنَّهُمْ قُوَّةٌ لَا تُقَهَّرُ، وَأَنَّهُمْ اسْتَطَاعُوا أَنْ يُهَاجِمُوا الرُّومَ في عَقْرِ دَارِهِمْ^(١)، وَيُوسِعُوهُمْ قَتْلًا وَأَسْرًا وَتَعْذِيبًا.

❖ أهم عوامل النصر ❖

كانت «الطاعة» هي السِّمَّة المميِّزة التي جَلَبَتْ النِّصْرَ للمسلمين في هذه الغزوة..

أولاً : طاعةُ أبي بكرٍ لِأَمْرِ الرَّسُولِ ﷺ، وإِتْمَانُهُ بِعَثِ اسْمَامَةَ، مُخَالَفًا بِذَلِكَ مَا أَرَادَهُ الْمُعْتَرِضُونَ، وَإِنْ كَانَ لِرَأْيِهِمْ وَجَاهَتُهُ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ.

ثانياً : طاعةُ اسْمَامَةَ لِأَمْرِ أَبِي بَكْرٍ، وَإِنْ كَانَ اسْتِمْرَارًا لِأَمْرِ الرَّسُولِ ﷺ، وَهُوَ أَلَّا يَتَوَغَّلَ^(٢) فِي بِلَادِ الرُّومِ، وَأَنْ يَكْتَفِيَ بِمُهَاجِمَةِ الْقُرَى الَّتِي حَدَّدَهَا الرَّسُولُ ﷺ - وَلَمْ يُضِفْ إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ قُرَى أُخْرَى..

ولكن هل كانت الطاعة وحدها هي مفتاح النصر في هذه الغزوة، وإن كانت - على الأرجح - أهمَّ العوالمِ فيه؟

الواقعُ أَنَّ هُنَاكَ عَوَامِلَ أُخْرَى إِلَى جَانِبِ الطَّاعَةِ، جَعَلَتْ النِّصْرَ سَهْلًا مَيْسُورًا.. هذه العوالمُ هي : الإِصْرَارُ عَلَى الْأَخْذِ بِالشَّارِ لِشُهَدَاءِ مُؤْتَةِ،

(١) في عقر دارهم : في عمق دارهم .

(٢) ألا يتوغل : ألا يتعمق .

وإزالة الهيبة العسكرية التي كانت تتمتع بها دولة الروم ، وتأمين الحدود العربية من ناحية الشام ، وإزهاق أعداء الله حتى لا يفكروا في مهاجمة المدينة .

لَوْ وَضَعْنَا نُصْبَ أَعْيُنِنَا كُلَّ هَذِهِ الِاعْتِبَارَاتِ لَعَدَدْنَا هَذِهِ الْغَزْوَةَ - عَلَى صِغَرِهَا - مِنْ أخطرِ الْغَزَوَاتِ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ ..

إِنَّهَا حَقَّقَتْ الْمَزِيدَ مِنَ الْأَمْنِ لِدَوْلَةِ الْإِسْلَامِ دَاخِلِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَأَعْطَتْ الْمُسْلِمِينَ مَكَانَةً رَهيبَةً فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ يَتَحَرَّشُ بِهِمُ الْيَهُودُ الْمَطْرُودُونَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَكَذَلِكَ الْمَشْرِكُونَ الَّذِينَ فَقَدُوا سُلْطَانَهُمْ عَلَى أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ .

وَهُنَا يَتَحَقَّقُ الْمَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ هَذِهِ الْغَزْوَةِ ، سِوَاءٍ فِيمَا يَتَّصِلُ بِنَتَائِجِهَا الْحَرْبِيَّةِ ، أَوْ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَسَامَةِ وَعَبَقْرِيَّتِهِ الْعَسْكَرِيَّةِ ..

إِنَّ النَّتَائِجَ - كَمَا رَأَيْنَا - جَاءَتْ وَفَقَّ مَا رَمَى إِلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ وَمَا اسْتَهْدَفَهُ خَلِيفَتُهُ مِنْ بَعْدِهِ ..

إِنَّ الْمَوَاهِبَ الْعَسْكَرِيَّةَ الْكَامِنَةَ^(١) فِي أُسَامَةَ .. كَشَفَتْ عَنْهَا هَذِهِ الْغَزْوَةُ ، إِذْ أَنَّهُ قَاتِلٌ وَنَاضِلٌ وَأَسْرٌ وَغَنِمٌ وَأَنْتَصَرَ دُونَ أَنْ يَفْقَدَ رَجُلًا وَاحِدًا مِمَّنْ خَرَجُوا مَعَهُ ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ لَا يُؤْمِنُ بِقِيَادَتِهِ ..

إِذْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْظُرُ بَعَيْنِ الْغَيْبِ عِنْدَمَا قَالَ عَنْ أُسَامَةَ : وَإِنَّهُ لَخَلِيقٌ بِالْإِمَارَةِ .. وَإِذْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ مُؤَيَّدًا بِالْحَقِّ عِنْدَمَا صَمَّمَ عَلَى إِتْمَامِ بَعَثِ أُسَامَةَ ، وَلِيَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَكُونُ ..

مَاذَا كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يُقَالَ لَوْ أَنَّ أُسَامَةَ أَخْفَقَ^(٢) فِي مُهِمَّتِهِ ، وَلَمْ يُحْرِزْ هَذَا النَّصْرَ؟!!

(٢) أخفق : هُزِمَ .

(١) الكامنة : المستقرة فيه .

كان المنافقون والمغرضون سيجدون أرضاً خصبةً لزرع أشواكهم ، وإدماء تاريخ الإسلام بها ..

كانوا سيُشكَّونَ في قيمة الشَّبَابِ ، وَعَدَمِ قُدْرَتِهِمْ عَلَى الاضْطِلاعِ بعضائهم الأُمُورِ ..

كانوا سيَجْعَلُونَ من هذه الغزوة مَعْبَرًا لِلنَّفَازِ إِلَى طَعْنِ الْمُسْلِمِينَ ، والأرتياب^(١) في حَقِيقَةِ هَذَا الدِّينِ الْجَدِيدِ ..

وَلَكِنَّ اللَّهَ أَبِي إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نورهُ ، وَيُحَقِّقَ النَّصْرَ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى يدِ أُسَامَةَ ضِدًّا أَخْطَرَ دَوْلَةَ فِي ذَلِكَ الْحِينِ ..

تقويم لشخصية القائد

وهناك ناحية أخرى ينبغي أن نلّم بها ولو الإمامة عابرة عند تقويمنا لشخصية أسامة .

لَوْ أَنَّ أُسَامَةَ كَانَ مِنْ أَعْرَقِ الْأَسْرِ الْعَرَبِيَّةِ حَسَبًا وَنَسَبًا ، وَوَرِثَ مِنَ الثَّرْوَةِ وَالغِنَى مَا أُتِيحَ لِأَبْنَاءِ سَادَةِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ لَكَانَ لِتَارِيخِهِ جَوَانِبُ أُخْرَى مِنَ الْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ ، فَضْلًا عَنِ التَّضْحِيَةِ وَالْفِدَاءِ ..

وَلَكِنَّهُ كَانَ ابْنُ زَيْدِ الَّذِي أَعْتَقَهُ الرَّسُولُ ﷺ ، أَيِ إِنَّهُ كَانَ فَقِيرًا مُجَرَّدًا مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا .. لَمْ يُوَلَدْ فِي أَحْضَانِ الثَّرْوَةِ ، وَلَمْ يَتَرَعَّرَعْ فِي أَفْيَاءِ النَّعِيمِ^(٢) ، وَمَعَ ذَلِكَ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمْتَلِكَ أَغْلَى ثَرْوَةٍ عَرَفَتْهَا الْبَشَرِيَّةُ .. ثَرْوَةٌ لَوْ قُدِّرَتْ بِهَا كُنُوزُ كِسْرَى وَقِيصِرَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ لَعُدَّتْ هَذِهِ الْكُنُوزُ شَيْئًا

(١) الارتياب : الشك .

(٢) أفْيَاءِ النَّعِيمِ : ظلال النعيم .

ضئلاً قليلاً . . إنه استطاع بولائه لله ورسوله أن يمتلك جانباً كبيراً من
مشاعر النبي ﷺ وعواطفه ، حتى سماه النبي ﷺ «الحب ابن الحب»
وهذه الثروة من المشاعر والعواطف النبوية لا يعدها شيء مما يخرزه
الباطرة^(١) في ذلك الزمان ، أو في أي زمان . .

كان أسامةً مُغْتَبِطاً^(٢) بهذه الثروة أشد الغبطة ، فرحاً بها أبلغ الفرح ، ولم
يكن يفكر في عرض الدنيا^(٣) إلا بقدر حاجته ، لأنه تعلم من نبيه ﷺ
أن يعيش على الكفاف ، وحسبه لقيمات يقمن أوده^(٤) .

(١) الأباطرة : عظماء الملوك .

(٢) مغتبطاً : مسروراً .

(٣) عرض الدنيا : كل ما يتعلق بالدنيا من مال ومتاع وولد . الخ .

(٤) يقمن أوده : يقمن صلبه ويعيش بها .

المنافسة

س ١ : علل ما يأتي :

(أ) إنفاذ أبي بكر بعث أسامة .

(ب) استئذان الخليفة من أسامة في أن يبقى عمر بالمدينة .

(ج) أبو بكر يمشى وأسامة يركب .

س ٢ : «لاتخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا . . .» .

(أ) من قائل العبارة ؟ وما المناسبة ؟

(ب) ما أهم المبادئ الموجودة في الخطبة ؟

س ٣ : بم أوصى الخليفة أسامة ؟ وعلام تدل الوصية ؟

س ٤ : لماذا لم يبق أسامة في اللقاء إلا يوماً واحداً ؟

س ٥ : أكمل مكان النقط فيما يأتي :

(أ) حينما وصل أرض تذكر

..... فغلى دمه وثأر ل مؤتة .

(ب) شد أسامة على فأنزل به

(ج) قتل الجيش كثيراً من و

..... و منتصراً .

س ٦ : ما السر في خروج الخليفة والمسلمين ، عندما عاد جيش أسامة ؟

س ٧ : اختر التعبير الأدق مما يأتي وعلل لما تختاره .

(أ) (انتصر الجيش على العدو - خطف الجيش النصر من

العدو) .

(ب) (طار خبر النصر إلى الخليفة - علم أبو بكر بانتصار أسامة).

س ٨ : املأ مكان النقط فيما يأتي :

من أهم عوامل النصر (أ) (ب)

س ٩ : صل من العمود (ب) ما يناسبه من العمود (أ) فيما يأتي :

(أ) (ب)

١ - دلت أسامة على ٥ - هيبة الروم

٢ - قضى أسامة على ٦ - أنه قائد ممتاز

٣ - أحرص النصر ٧ - لما وصل إلى البلقاء

٤ - تذكر أسامة الثأر ٨ - السنة غير المسلمين

٩ - تأمين حدود الدولة من ناحية الشام

س ١٠ : ما موقف غير المسلمين ، فيما لو هزم أسامة ؟

س ١١ : ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة ، وعلامة (x) أمام

الخطأ فيما يأتي :

(أ) قضى أسامة على هيبة الروم في يوم واحد .

(ب) لم تبرز معركة البلقاء أي موهبة لأسامة .

(ج) لم تزل الروم بعد البلقاء مصدر قلق للدولة الإسلامية .

(د) كانت معركة البلقاء ثأراً لشهداء مؤتة .

س ١٢ : اكتب مقالاً لصحيفة المدرسة تتحدث فيه عن شخصية أسامة

الحربية .

خاتمة

كَيْفَ أَمْضَى أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ بَقِيَّةَ حَيَاتِهِ بَعْدَ انْتِصَارِهِ عَلَى الرُّومِ . هَلْ قَرَّرَ أَنْ يَعْتَزِلَ الْجِهَادَ رَدًّا عَلَى الْمُتَذَمِّرِينَ مِنْ تَعْيِينِهِ قَائِدًا لِلجَيْشِ ؟ وَلَكِنْ لِمَاذَا يَعْتَزِلُ الْجِهَادَ ؟

إِنَّهُ قَدَّمَ أَرْوَعَ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّهُ جَدِيرٌ بِالْقِيَادَةِ ، خَلِيقٌ^(١) بِالْإِمَارَةِ ، وَقَدْ اِكْتَسَبَ بَعْدَ انْتِصَارِهِ عَلَى الرُّومِ ثِقَةً مُؤَيَّدِيهِ وَمُعَارِضِيهِ عَلَى السَّوَاءِ .

❖ اشتراك أسامة في حرب المرتدين ❖

ولأنه فطر^(٢) على حُبِّ الجهاد فقد أبت نفسه أن يُخلد^(٣) إلى الراحة ، وهو أشدُّ ما يكونُ حاجةً إليها . . . وذهب صباحَ عودته من أرضِ البلقاءِ إلى بيتِ أبي بكرٍ ، وطلبَ أنْ يأذنَ له بالخروجِ لحربِ المرتدِّين . . . كانَ أبو بكرٍ بحاجةٍ إلى كُلِّ جُهدٍ عَسْكَرِيٍّ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ الْعَصِيبَةِ . . . مَا جَعَلَهُ يَأْذَنُ لِأُسَامَةَ عَلَى الْفَوْرِ . . . وَمِنْ ثَمَّ اسْتَطَاعَ الْقَائِدُ الشَّابُّ أَنْ يَنَالَ شَرَفَ الْاِشْتِرَاكِ فِي الْقَضَاءِ عَلَى أَهْلِ الرَّدَّةِ ، وَالْإِسْهَامِ فِي قَمْعِ^(٤) الْفِتْنَةِ فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ .

وظلَّ أُسَامَةُ بَعْدَ ذَلِكَ يَشَارِكُ فِي الْفُتُوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ . فَمَا إِنْ تَلَحَّ سَانِحَةً^(٥) لِلجِهَادِ حَتَّى يُجَرِّدَ سِلَاحَهُ ، وَيَخْرُجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . .

(٢) فطر : خلق .

(٤) قمع : إخماد .

(١) خليق : يستحق .

(٣) يخلد : يركن .

(٥) تلوح سانحة : تظهر .

أبو بكر وعمر يكرمان أسامة

وَمِنْ هُنَا لَقِيَ أُسَامَةَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ كُلَّ تَكْرِيمٍ وَإِعْزَازٍ . . . وَلَقِيَ كَذَلِكَ مِنْ عُمَرَ نَفْسَ التَّكْرِيمِ ، وَنَفْسَ الإِعْزَازِ . . . حَتَّى إِذَا عَمَرَ حِينَ أَرَادَ تَقْسِيمَ الأَنْصِبَةِ مِنْ بَيْتِ المَالِ ، جَعَلَ نَصِيبَ أُسَامَةَ خَمْسَةَ آفِ دِرْهَمٍ ، بَيْنَمَا جَعَلَ نَصِيبَ ابْنِهِ عَبْدِ اللهِ ثَلَاثَةَ آفِ دِرْهَمٍ فَقَطْ . . .

وَلَا تَأْخُذْنَا الدَّهْشَةُ إِذَا رَأَيْنَا عَبْدَ اللهِ بْنِ عُمَرَ يَثُورُ عَلَى هَذِهِ القِسْمَةِ وَيَعْدُهَا مُجْحَفَةً بِهِ^(١) ، وَلَا تَأْخُذْنَا الغَرَابَةُ أَيْضاً إِذَا رَأَيْنَا عَبْدَ اللهِ يَذْهَبُ إِلَى أَبِيهِ ، وَيَسْأَلُهُ فِي أَسَى وَأَسْفٍ عَنِ سِرِّ تَفْضِيلِ أُسَامَةَ عَلَيْهِ . . .

إِنَّهُ ابْنُ خَلِيفَةِ المُسْلِمِينَ ، وَلَيْسَ أَقْلٌ شَأْنًا فِي الجِهَادِ مِنْ أُسَامَةَ . . . فَلِمَاذَا لَا يَتَسَاوَى مَعَهُ - عَلَى الأَقْلِ - فِي الأَخْذِ مِنْ بَيْتِ المَالِ !!

تَجَاسَرَ^(٢) عَبْدُ اللهِ عَلَى أَبِيهِ ، وَوَجَّهَ إِلَيْهِ هَذَا السُّؤَالَ :

- لِمَاذَا تَجْعَلُ نَصِيبَ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ أَكْبَرَ مِنْ نَصِيبِي مِنْ بَيْتِ المَالِ ؟

قَالَ هَذِهِ العِبَارَةُ ، وَتَوَقَّعَ أَنْ يَكُونَ الرَّدُّ مُحَقَّقًا لِرَغْبَتِهِ . . .

إِلَّا أَنَّ الرَّدَّ جَاءَ عَلَى عَكْسِ مَا تَوَقَّعَ . . . قَالَ لَهُ عُمَرُ وَلِهَجَّتْهُ تَفِيضُ بِالْحَزْمِ^(٣) وَالجِدِّ : « إِنَّ أُسَامَةَ كَانَ أَفْضَلَ عِنْدَ النَّبِيِّ مِنْكَ . . . وَأَبَاهُ كَانَ أَفْضَلَ عِنْدَ النَّبِيِّ مِنْ أَبِيكَ » .

رَدًّا لَا تَجُوزُ فِيهِ مُنَاقَشَةٌ أَوْ جَدَلٌ . . . مِمَّا جَعَلَ عَبْدَ اللهِ يَغْضُ الطَّرْفَ خَجَلًا ، وَيَنْسَحِبُ فِي اسْتِخْيَاءٍ مِنْ أَمَامِ أَبِيهِ .

(٢) تجاسر : تجرأ .

(١) مجحفة به : ظالمة .

(٣) الحزم : الشدة .

وكما كانت لأُسامة مواقف مشهودة دافع فيها عن النبي ﷺ ، وعن دين الله ، والخطر مُحدق به^(١) ، والموت من حوله يتخطف الأرواح ، فقد كان له مثل هذه المواقف مع خلفاء النبي ﷺ .

❖ أسامة يحاول الدفاع عن عثمان ❖

ويحضرنا في هذا المجال موقفه يوم الفتنة التي شبت في عهد عثمان ، حيث أحاط الثائرون ببیت الخليفة يُحاولون اقتحامه ، والاعتداء على حياته ..

يومها جرد أسامة سيفه ، وتقلد درعه^(٢) ، وذهب إلى بيت عثمان والألم يحز في نفسه لما بدر من بعض المسلمين تجاه الخليفة ، وعز على عثمان أن يدافع عنه ..

نظر عثمان إلى أسامة نظرة امتزج فيها التقدير بالإشفاق . إنه يعلم خطورة الموقف ، ويعلم أن الدفاع عنه سيعرض حياة المدافعين للخطر ، بل للموت ، ومن هنا كان عثمان حريصاً على ألا يقتل أحد بسببه ، بل حريصاً أشد الحريص على ألا يرفع مسلم سلاحه في وجه مسلم مهما يكن السبب ..

ولهذا بادر^(٣) برفض طلب أسامة ، وهو أشد ما يكون احتياجاً إليه في هذه المحنة .. وظل عثمان يكرر هذا الرفض على كل من جاء متطوعاً للدفاع عنه ..

إلا أن الفتنة كانت تشتد يوماً بعد يوم ، وساعة بعد أخرى ، حتى تمكن الثائرون من التسلل إلى الخليفة ، وقاموا بقتله ، وهو يقرأ القرآن .

(٢) تقلد درعه : لبس درعه .

(١) محدق به : الخطر يحيط به .

(٣) بادر : أسرع .

❖ أسامة يعتزل الجهاد ويعكف على العبادة ❖

وعندما علم أسامة بالجريمة الشنعاء التي ارتكبها الثائرون ، كاد الحزن يقضى عليه ، فقرر أن يعتزل الجهاد ويعكف^(١) على العبادة والصلاة ..
كما قرر أن يعتزل المدينة أيضاً ، ويقيم بأرض الشام .. وظل هنالك حتى أدركته الشيخوخة ، ودب في جسده الوهن^(٢) .. وأحس أن الموت يقترب منه كل يوم ..

فتاقت نفسه^(٣) إلى أن يعود للمدينة مرة أخرى ليلقى آخر نظرة على الأرض التي شهدت أيامه الأولى في الجهاد .

❖ ذكريات أسامة في المدينة ❖

عندما وصل إلى المدينة انبعثت في نفسه ذكريات ثمانية عشر عاماً أمضاها مع النبي :

في هذا المكان جلس إلى النبي ﷺ يستمع منه إلى وحي السماء ..
في هذا الطريق سار بجانبه يتعلم منه مكارم الأخلاق ..
في هذه البقعة شهد النبي يمسخ دموع اليتامى ويعين البائسين .
من هذه البئر رأى النبي ﷺ يتوضأ ، استعداداً للصلاة .

❖ ذكريات أسامة في الجرف ❖

ذكريات ما أجملها وأحلاها في نفس أسامة .
بل ما أروع صورها حين تتوارد على مخيلته .

(٢) الوهن : الضعف .

(١) يعكف : يتفرغ .

(٣) تاقت نفسه : اشتقات نفسه .

ثم تكتمل اللوحة الساحرة لهذه الذكريات .. حين يخرج أسامة إلى الجرف .. وتتمثل أمام ناظره رؤى من الماضي البعيد .. بعضها باسم .. وبعضها شاحب ..

إنه في هذه الأرض شهد ذروة مجده^(١) حين أمره النبي ﷺ على الجيش .. وشهد أيضاً ذروة حزنه حين جاءه النبأ بأن شمس النبوة في طريقها إلى المغرب ..

مشهدان لا يستطيع أسامة أن ينساها ، مهما طال به الأمد ، ومهما امتد به العمر .

مشهدان امتزجت فيهما أعماق الابتسامات بأبلغ الحسرات .

❖ مثنوى أسامة ❖

مشهدان جعلاً أسامة يُقرر أن يكون مثنواً^(٢) الأخير في أرض الجرف . فمكث بها ما شاء الله أن يمكث ، حتى وافاه الأجل المحتوم .. ولحظتها سكن القلب الذي طالما نبض بحب الله ورسوله .. وتوقف اللسان الذي لم يتوقف لحظة عن ذكر الله .. وشحب الوجه الذي طالما طبع النبي عليه قبلاته في رقة وحنان .

وكما شهدت أرض الجرف أسامة :

الشاب .. القائد .. البطل .. يتقدم الجيش في ثقة واعتزاز لحرب الروم ، وهو أنصر ما يكون شاباً ، وأكمل ما يكون فتوة ، شهدته شيخاً مسجى يتوارى تحت أحجارها العجائز في يوم صامت حزين إلا أن نور بطولته ظل محلقاً في سماء الخالدين ، يطل دائماً على الدنيا بأروع معاني الشجاعة والإقدام .

(٢) مثنواً : مرقد الأخير .

(١) ذروة مجده : قمة مجده .

الناقشة

س ١ : علل ما يأتي :

- (١) كسب (أسامة) ثقة مؤيديه ، ومعارضيه .
- (ب) استأذن (أسامة) الخليفة في أن يشترك في الحرب ضد المرتدين .
- (ج) رفض (عثمان) عرض (أسامة) .

س ٢ : صل العمود (١) بما يناسبه من العمود (ب) فيما يأتي :

- | | |
|------------------------|---------------------------------|
| (١) | (ب) |
| ١ - جعل عمر | ٥ - فرس زيد |
| ٢ - ذهب أسامة إلى بيته | ٦ - عطاء أسامة خمسة آلاف |
| ٣ - سبحة | ٧ - بعد أن صلى في المسجد ركعتين |
| ٤ - حرص عثمان | ٨ - فرس أسامة |
| | ٩ - على ألا يُقتلَ أحدٌ بسببه |

س ٣ : ما السر في خروج أسامة إلى الشام ؟

س ٤ : علل ما يأتي :

- (١) عودة أسامة إلى المدينة .
- (ب) اعتزل أسامة الجهاد وعكف على العبادة .
- (ج) انسحب عبد الله بن عمر في استحياء .

س ٥ : اختر الإجابة الأدق لما يأتي :

صلة أسامة بالشام :

- (١) فيه لقي أبوه الشهادة .
- (ب) فيه ثار لشهداء مؤتة .
- (ج) فيه ذكرى استشهاد أبيه والثأر له .



أسئلة عامة

س ١ : ولد أسامة في جو مفعم بحرارة الجهاد في سبيل الله ، وعاطر
برائحة الوحي في بيت النبي ، ومشرق بلمحات القرآن في
مجلس الرسول .

(ا) هات معنى (مفعم) ، ومفرد (لمحات) .

(ب) كان للجو الذي نشأ فيه أسامة أثر على تربيته النفسية .
وضح ذلك .

(ج) اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين فيما يأتي :

أم أسامة (زينب - خديجة - أم أيمن) .

جد أسامة (زيد - محمد - حارثة) .

(د) ما صلة أسامة بالنبي ﷺ ؟

س ٢ : لبيت أسامة وتوجيهات النبي ﷺ آثارهما على بطولة أسامة
المبكرة . اشرح ذلك .

س ٣ : طبق المسلمون الأوائل أحدث النظريات في التربية وعلم
النفس . دلل على صدق العبارة من خلال دراستك للقصة .

س ٤ : كانت شخصية الرسول جذابة ومؤثرة .

اشرح ذلك من خلال صلة الرسول بأسامة .

س ٥ : علل ما يأتي :

(ا) اختار زيد محمداً على أبويه .

(ب) أعلن النبي في حجر إسماعيل تبنيه لزيد بن حارثة .

(ج) زوج النبي زيدا من زينب بنت جحش .

س ٦ : خرج أسامة للجهاد . ورده المسلمون في الطريق .
متى كان ذلك ؟ ولماذا ؟ وعلام يدل ؟

س ٧ : كان يتمنى أن يكون جندياً في الجيش فولاه النبي القيادة .
(أ) ما المعركة التي تولى أسامة قيادتها ؟ وهل نجح فيها ؟
(ب) كم كانت سن أسامة حينما ولاه النبي القيادة ؟
(ج) ما موقف الأنصار من ذلك ؟

س ٨ : لماذا كان النبي حريصاً على قيادة أسامة لجيش الروم ؟

س ٩ : هل حقق أسامة للدولة الإسلامية ما كان يرجوه النبي ﷺ ؟
ومتى ؟

س ١٠ : التقى زيد وأسامه بعدو واحد في أرض واحدة في زمن
مختلف . اشرح ذلك .

س ١١ : اكتب مذكرة تاريخية مختصرة عن كل ما يأتي :

(أ) أم أيمن الحبشية .

(ب) زيد بن حارثة .

(ج) جعفر بن أبي طالب .

س ١٢ : وضح بالأمثلة مظاهر حب النبي لأسامة ، وتفاني أسامة في
حب النبي صلى الله عليه وسلم .

الفهرس

الصفحة

٣	مقدمة
٥	الفصل الأول : فى مكة المكرمة « قبل الهجرة »
١٣	الفصل الثانى : فى المدينة المنورة « قبل الهجرة »
٢١	الفصل الثالث : فتح مكة « أسامة يوم الفتح »
٢٧	الفصل الرابع : أسامة فى موقعة حنين
٣٥	الفصل الخامس : الأيام الأخيرة فى حياة النبى ﷺ
٤٣	الفصل السادس : امتحان عسير
٤٩	الفصل السابع : أسامة بطل اللقاء
٥٩	خاتمة
٦٥	أسئلة عامة

رقم الإيداع: ٢٦٠٢

الترقيم الدولي 3 - 5239 - 06 - 977 I.S.B.N

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر



مكتبة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٢٨

طبع بمطابع الشركة بمدينة السادس من أكتوبر

- من الإيمان أن تهتم بنظافة بدنك ، وملابسك ، وبيتك ومدرستك .
- الإنتاج هو طريقنا إلى القوة والرخاء .
- قد تؤدي البلهارسيا إلى مضاعفات صحية خطيرة للأطفال والبالغين .
- يتم العلاج من البلهارسيا الآن بتناول جرعة واحدة من الأقراص ، وهي صحية وآمنة ومتاحة في كافة الوحدات الصحية بلا مقابل .
- القراءة تغذي العقل . . والرياضة تقوى الجسم . . والفنون تهذب الإحساس .
- المعلم حق للجميع . . فاحرص على أن تكون دائماً جديراً بهذا الحق .
- تلوث الضعامة وتعرضه للذباب والحشرات ، يساعد على انتشار الأمراض .
- استعمال المرحاض الصحي والحفاظ على نظافته والإبقاء عليه مغلقاً وغسل الأيدي ، يحد من الإصابة بالأمراض .
- الصدق أقصر الطرق إلى الإقناع .
- اغرس شجرة ، أو ازرع زهرة . . تجد كل ما حولك سعيداً باسماء .

الرقم المرحلي	مقاس الكتاب	مقاس الورق	عدد ملازم الكتاب	ورق الغلاف	ألوان الكتاب
٥ / ٢	٢٤ × ١٧ سم	١٠٠ × ٧٠ سم	١/٢ ملزمة ٧٢ صفحة بالغلاف	كوشيه الوزن ٢٣٠ جم	المتن لون واحد الغلاف ٤ لون

طبع بمطابع الشركة بمدينة السادس من أكتوبر



مكتبة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٢٨